قراءة في رسالة التنزيه

للسيّد محسن الأمين

تأليف
الشيخ محمّد الحسّون

فهرس المطالب

- المقدّمة
- ترجمة مختصرة لحياة السيّد محسن الأمين

الفصل الأوّل: أثر الرسالة في المجتمع

- تمهيد
- بداية المطاف
- المرحلة الأُولى
- ترجمة مختصرة لحياة السيّد مهدي البصري
- المرحلة الثانية
- المرحلة الثالثة
- ترجمة مختصرة لحياة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي
- المرحلة الرابعة
- ردود الفعل على الرسالة

رجال الدين

رسائل أُلفّت حول هذا الموضوع

الصحف

الشعراء والخطباء

عامّة الناس

الفصل الثاني: النّص الكامل لرسالة التنزيه

- تمهيد
- عملنا في الرسالة
- نصّ الرسالة
- ذكر اشكالات السيّد الأمين

- الحسن والقبح العقليين
- ما نقلته جرائد بيروت
- نقل الخطباء للأحاديث والوقائع المكذوبة
- اللحن في القراءة
- اختلاق الأخبار ومسخها
- روايات ضعيفة
- الحجامة والتطبير
- لمَ تقولون ما لا تفعلون؟

الفصل الثالث: مناقشة الإشكالات الواردة في الرسالة

- الإشكال الأوّل: نقل خطباء المنبر الحسيني للأحاديث والوقائع المكذوبة:

وتعرّض له في موضعين:

الموضع الأوّل

مناقشة كلامه في عدّة نقاط

الموضع الثاني

مناقشة كلامه في عدّة نقاط

حديث (أين ضلّت راحلتك يا حسان)

ترجمة مختصرة لحياة الشيخ حسن قفطان

مدح علمائنا للشيخ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني وكتابه (الدمعة الساكبة)

حديث (خرجتُ أتفقدّ هذه التلاع)

حديث (إنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصم)

حديث قول شمر للحسين (عليه السلام) (بعدك حيّاً يابن الخارجي)، وحديث (أي جرح تشدهّ لك زينب)، وحديث مخاطبة زينب للعباس (عليه السلام)

حديث درّة الصدف

حديث مجيء الإمام السّجاد لدفن أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء

حديث مجيء الطيور التي تمرّغت بدم الحسين (عليه السلام) إلى المدينة المنورّة

- الإشكال الثاني: اللحن في القراءة

- الإشكال الثالث: التلحين في القراءة
  أدلّة حرمة الغناء
  معنى الغناء لغةً وفقهاً
  هل ما يقرأه الخطباء يعدّ غناء؟
  تجويز بعض فقهائنا الغناء في المراثي
- الإشكال الرابع: ايذاء النفس وإدخال الضرر عليها
  موكب ضرب الرؤوس بالسيوف، وتأريخ نشوئه
  موكب السلاسل
  مناقشة استدلال السيّد الأمين بالعقل على حرمة هذه المواكب
  مناقشة استدلال السيّد الأمين بقاعدة العسر والحرج على حرمة هذه المواكب
  تورّم قدم النبي (صلى الله عليه وآله) من القيام في الصلاة
  حجّ الأئمة مشاة حتّى تورمّت أقدامهم
  بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) على أبيه الإمام الحسين (عليه السلام)
  امتناع العباس (عليه السلام) عن شرب الماء يوم عاشوراء
  تقريح الإمام الرضا (عليه السلام) جفونه من البكاء
  ادّعاء السيّد الأمين موت جماعة في كلّ سنة في موكب شجّ الرؤوس
- الإشكال الخامس: استعمال آلات اللهو في المواكب الحسينيّة
  ذكر موردين استشكل فيهما السيّد الأمين هذا الفعل
  مناقشتنا لكلامه في كلا الموردين
  أدلّة حرمة استعمال آلات اللهو والطرب
  الآلات المستعملة في المواكب الحسينية
  الطبل
  البوق
  الصَّنج
- الإشكال السادس: تشبيه الرجال بالنساء
- الإشكال السابع: تمثيل النساء
- الإشكال الثامن: صياح النساء بمسمع من الرجال

الإشكال التاسع: الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة

- الإشكال العاشر: دخول ما يوجب الهتك والشنعة في الشعائر الحسينيّة

- فهرس المصادر

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبينا ّ

ومقتدانا أبي القاسم محمّد، وعلى أهل بيته الطيبّين الطاهّرين

الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا.

وبعد،

لكلّ امُةٌ من الامم، بل لكل جّماعة من الناس . على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم . شعائر وطقوس يؤمنون بها ويؤدّونها على أنّها فرضٌ لايمكن التساهل به.

والأمم والجماعات: السالفة منها، والتي نعاصرها الآن، وحتّى التي تأتي بعدنا، كلهّا سواء من حيث المعتقدات، إلا أّن ّ الاختلاف في طبيعتها وكيفيّتها يكون تابعاً لعنصري المكان والزمّان والمستوى الثقافي للأفراد، فالشعائر التي يؤديهّا المثقفّ تختلف عن تلك التي يؤدّيها الامُيّ وان كانت متحدّة من حيث المنشأ والمعتقد.

والشعائر الحسينيّة التي يقيمها أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومحبوّهم، قديمة قدم واقعة الطف الخالدة، ومتأصلة في النفوس أصالة المبادىء التي ثار من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام).

وقد مرّت هذه الشعائر بفترات مدٍّ وجزر; تبعا لّلظروف السياسية ّالتي عمتّ المجتمع الإسلامي آنذاك، ونزولا عند رأي الحكّام المتسلطّين على رقاب المسلمين ومواليهم لهذه الشعائر وعدمها.

فلعلّ أول هذه الشعائر، وهو البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه، جرى بعد واقعة الطفّ مباشرة وفي بيت يزيد بن معاوية، كما حدّثنا

التأريخ بذلك:

قال الطوي في تأريخه:

"فخرجنَ . أي النساء السبايا . حتّى دخلن َدار يزيد، فلم يبق مَن آل معاوية امرأة إلا اسّتقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً"[1] .

وتتابعت مجالس الحزن والبكاء في الكوفة والمدينة المنوّرة وغيرهما، وأقام التوابون عند قبر الحسين (عليه السلام) مأتماً عظيماً يصفه ابن الأثير في تأريخه قائلا:

"فما رُئي أكثر باك من ذلك اليوم، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرّعون ويتوحمّون عليه وعلى أصحابه"[2] .

وأُقيمت هذه المجالس في العهد الأُموي سراً خوفا مِن أعداء أهل البيت.

وفي العهد العبّاسي اقُيمت علنا أحيانا وسرا أحيانا اخرى، ففي أيام المّأمون اقيمت علنا، وفي أيام المتوّكل أقيمتّ سرا، حتّى تفاقم الوضع في أيامه ومنع مَن إقامة هذه الشعائر، وتطرفّ كثيرا في عدائه للإمام الحسين (عليه السلام) إذ أمر بهَدم قبره الشريف، يقول ابن الأثير في تأريخه في حوادث سنة 236هـ.

"وفي هذه السنة أمرَ المتوكلّ بهدم قبر الحسين بن علي (عليه السلام)، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذْرْ ويسقى موضع قبره"[3] .

وانتشرت هذه الشعائر أيام الاخشيديين وكافور، واتّسع نطاقها أيام الفاطميين[4] .

---

1 ـ تأريخ الطبري 5:462.

2 . الكامل في التأريخ 4: 178.

3 . الكامل في التأريخ 7: 55.

4 . الخطط المقريزيّة 2:290.

وفي أيام البويهيين اتّخذ معزّ الدولة البويهي اليوم العاشر من محرمّ يوم حزن وبكاء بصفة رسمية[1] .

وانتعشت هذه المجالس في أيّام الدولة الصفوية، واتسعت مساحتها، ودخلتها امُور كثيرة مستُحدثة.

وعندما سيطر العثمانيّون على العالم الإسلامي . ومنه العراق . منعوا من إقامة هذه الشعائر بشتّى الأساليب والطرُق، فأُقيمت سراً.

وبعد رحيل الأتراك عن العراق أصبحت المجالس تقام علناً وبشكل واسع النطاق.

وعند حصول العراق على استقلاله الوطني انتعشت هذه المجالس كثيراً، وأصبح لها دويّ واسع، لا في المحرمّ فحسب، بل وفي أربعينيّة الإمام الحسين (عليه السلام) وذكرى وفاة الرسّول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، والأئمة الأطهار.

وفي العقود الثلاثة الأخيرة من زماننا هذا، وبعد سيطرة حزب البعث على العراق، منعتّ الحكومة العراقية من إقامة أكثر هذه الشعائر، وعاقبت المتمسّكين بها أشدّ عقاب، فأعدمت بعضهم وسجنت البعض الآخر.

أمّا في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانية فقد مرتّ هذه الشعائر بأطوار مختلفة منعتُ في بعضها واقيمتُ في اخرى. ففي زمن

الشاه رضا البهلوي مُنعت هذه الشعائر أشدّ المنع، وجوبت عقوبات مجحفة بحق المقيمين لها.

وفي أيّامنا هذه نشُاهد . بحمد الله تعالى ومنّه . رواجا وانتشارا واسعا لهذه الشعائر بشكل لم يسبق له مثيل، وهذا من ثمار الجمهوريّة الإسلامية المباركة التي

1 ـ الشيعة في الميزان: 163.

أسّسها الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه.

إلاّ أنّ هذا لا يعني بقاء جميع تلك الشعائر سالمة من بعض الجوانب السلبية، ومحافظة على أصالتها والأهداف التي اقيمُت من أجلها. فمن المؤسف جدّاً أن نرى محاولات مغرضة ومبرمجة . لايبعد أن يكون وراءها أيادي معادية للإسلام . لإصواف هذه الشعائر عن مسيرها الصحيح، وتفريغ الثورة الحسينيّة المباركة من محتواها الفكري والعقائدي، الذي يتحدّى الظالمين ويسخّر من الطغاة.

والغريب في الأمر أنّ بعض محبّي أهل البيت: أدخلوا في هذه الشعائر ما يشينها ويبعدها عن روح الإسلام المحمدّي الأصيل، وهم يتصوّرون . في أعمالهم هذه . بأنّهم يخدمون الإمام الحسين (عليه السلام) الذي استرخص دمه ودم أهل بيته وأصحابه من أجل أهداف ساميّة، عبرّ عنها بقوله:

"ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ولا مفسُداً ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدّي، لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر".

وبقوله (عليه السلام): "اللهمّ إنك تعلم إنهّ لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماسا لفضول الحطام، ولكن لنرّد المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك".

إذاً فثورة الحسين (عليه السلام) جمعت بين الفكر والعاطفة، واحتوت العقل والسيف، وضمّت الشعار إلى الحكمة، والعبرة إلى العَبرة، والدمعة الساكبة إلى التأمل والفكرة.

فما أحوجنا في هذه الأيّام . التي نشاهد فيها الغزو الثقافي الغربي قد دخل إلى عقر ديارنا الإسلامية . إلى التركيز على العِبرة والخطاب الفكري العقائدي، إلى جانب العَبرة والخطاب التعبوي الذي يعوض الجانب المأساوي لواقعة الطف.

والساحة الإسلاميّة الآن بحاجة ماسّة إلى تلاحم واتحّاد واقعي بين مدارس

الفكر ومدارس العاطفة، يقف فيه المثقّف إلى جانب الخطيب المناقبي، ويساند المفكّر الفقيه الذي قضى كل عمره في دراسة العلوم الإسلاميّة واستنباط الأحكام الشرّعية.

وما هذه الرّسالة "التنزيه" إلاّ واحدة من تلك الصيحات المخلصة التي تعالت مطالبة بتنزيه الشعائر الحسينية مما لحقها من شوائب أخرجتها عن مسيرها الصحيح، أطلقها أحد علماء أتباع أهل البيت (عليهم السلام) قبل سبع وسبعين سنة تقريباً، هو

السيّد محسن الأمين العاملي (ت 1371هـ).

ونحن إذ نقوم بعرض هذه الرسالة، وقراءة ما ورد فيها، ومناقشة آراء مؤلّفها، وإيضاح الأمُور المبهمة والوقائع التاريخية وتراجم الرجال التي تحتاج إلى تبيين، نؤكّد بأنّنا لسنا بصدد الترويج لها أو تبنيّها أو ردهّا كاملة. بل الذي يهمنا ّهنا هو رؤية صاحبها والأفكار التي طرحها فيها، التي نؤيّد بعضها ونتحفظّ على البعض الآخر، مع كامل احترامنا وتقديرنا لكل ّالآراء التي طُرحت حولها قدحاً ومدحا أو رفضا وًقبولا.

وقبل أن نبدأ بعرض أثر هذه الرّسالة في المجتمع الإسلامي آنذاك وما قيل حولها وحول مؤلفّها، لابد ّمن بيان ترجمة مختصرة لحياة صاحبها:

السيّد محسن الأمين

فنقول: "هو [1] السيّد محسن ابن السيدّ عبد الكريم ابن السيدّ علي ابن السيد ّمحمد الأمين ابن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد الحسيني العاملي المعروف

1 ـ اقتبسنا هذه الترجمة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمّد حرز الدين (ت 1365 هـ) في معارف الرجال 2: 184 ـ 186.

بالأمين.

ولد في قرية شقرة من جبل عامل سنة 1283 هـ ونشأ فيها وأكمل مقدّماته العلميّة بها، ثم ّهاجر إلى العراق قاصدا الإقامة في النّجف الأشرف بلد العلم والهجرة للمجتهدين، وأقام فيها سنين يطلب العلم والمعارف الإسلاميّة والكمالات الأخلاقية، وجد ً في دراسته حتّى حضر دروس الأعلام، وكان قويّ الحافظة فطنا ألمعيا لبيبًا شاعًرا ينظّم الشعر المتين، وربما أسّمعنا بعض نظمه في المديح والرثاء والغزل.

ولمّا بلغ رتبة الاجتهاد والفضل الواسع غادر النجف داعياً إلى الحق ّمبشرا بالإيمان والصدق، وبث ّمكارم الأخلاق والفضائل الإسلاميّة، وأقام في دمشق والشام بطلب من وجوه المسلمين، وجعلها وطنه الدائمي. وهناك ظهرت علومه الجمّة وأخلاقه الساميّة، وطار صيته في الآفاق الإسلاميّة عامةً والأقطار العربية ّخاصة. ّكما ألفَ وَّصنف الكثير، وكانت الأسئلة والانتقادات من المخالفين ترد ّعليه بمختلف ألوانها وصورها فيجيب عنها.

من مؤلّفاته: "أعيان الشيعة في تراجم طبقات أعلام الشيعة"، و"معادن الجواهر" و"المجالس السنيّة" و"الدر ّالمنتقاة" و"الدر ّالثمين" و"لواعج الأشجان" و"كشف الارتياب في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب" و"مفتاح الجنات" و"الرحيق المختوم" و"الدروس الدينيّة" و"الدرّ النضيد في رثاء الشهيد" و"حاشية على كتاب القوانين".

توفّي (رحمه الله) ليلة الأحد الرابع من شهر رجب سنة 1371 هـ، الموافق لليوم الثلاثين في شهر اذار سنة 1952م.

الفصل الأوّل

أثر الرّسالة في المجتمع

تمهيد

في عام 1344 هـ صرّح السيّد محسن الأمين من مقرّ إقامته في العاصمة السورية دمشق بمعارضته لبعض الشعائر الحسينية التي يُقيمها بعض محبّي أهل البيت (عليهم السلام)، وكان لضرب الرؤوس بالسيوف القسط الأوفر من هذه المعارضة.

ولم يكتفِ الأمين بالتصريح فقط، بل دوّن آراءه في رسالة ألفّها سماها "التنزيه في أعمال الشبيه"، إذ أثبت فيها لزوم تنزيه مجالس العزاء ومحافلها عن الأعمال غير المشروعة، ووجوب التحرّز عن إدخال بعض المحرّمات في التعزية وفساد هذا الأمر الخطير. وقد طُبعت هذه الرّسالة أولا بمطبعة العرفان سنة 1347 هـ، ثم توالت طبعاتها، وتُرجمت إلى عدّة لغات.

وما أن انتشرت هذه الرسالة حتّى أحدثت ثورة عارمة، ليس في الشّام فحسب، بل في العالم الإسلامي عموماً، وعمّت دعوتها المسلمين في كلّ مكان، ووجد فيها الموافقون لآراء السيّد الأمين فرصتهم للتعبير عن رأيهم ورفع أصواتهم عالياً، وكأنّهم كانوا ينتظرون من يقوم بهذا الدور على مستوىً عال، فجاءت هذه الرسالة لتكون لهم وعاءً واقياً، لا سيما أن صاحبها علم من الأعلام لا يشكّ أحد في ولائه وإخلاصه وتفانيه من أجل الدين الحنيف.

ووجد فيها المخالفون لآرائه خطراً يُهدّد مستقبل هذه الشعائر، فعارضوها عن طيب نفس وخلوص نية، وهم يعتقدون أن واجبهم الدينيّ يُحتمّ عليهم ذلك.

واستغلّها البعض الآخر ذريعةً لتمرير آلاعيبهم على النّاس، واستثمار مصالحهم وحساباتهم الشخصية، فكيف كانت بداية تلك المعركة الثقافيّة؟

نستطيع أن نُقسّم الفترة الزمنيّة التي سبقت وصاحبت الأحداث التي أثارتها هذه الرسالة إلى أربع مراحل، هي:

المرحلة الأُولى:

وهي التي بدأ فيها السيّد مهدي البصري (ت 1358 هـ) بكتابة عدّة مقالات في الصحف العراقية، ينتقد فيها بعض الشعائر الحسينيّة، وذلك بعد عودته من الكويت واستقراره في مدينة البصرة سنة 1343 هـ، وكانت لصحيفة "الأوقات" . التي تصدر في البصرة آنذاك . مساهمة كبيرة في نشر تلك المقالات.

ولم يكتفِ السيّد مهدي ببيان آرائه في الصحُف، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فألفّ رسالة مستقلة دوّن فيها جميع انتقاداته وإشكالاته على بعض الشعائر الحسينيّة، سمّاها "صولة الحق على جولة الباطل" التي طبعت في العراق سنة 1343هـ[1] .

وقد وجّه السيّد مهدي في مقالاته ورسالته انتقاده لبعض الشعائر الحسينية كضرب الرؤوس بالسيوف، وضرب الظهور بالسلاسل، وتمثيل واقعة الطفّ يوم العاشر من المحرّم، وخروج المواكب في الأزقّة والشوارع.

وإنّي لم أعثر على تلك المقالات ولا على رسالة "الصولة" لكي أقف على ما فيها من انتقادات بشكل واضح، نعم وقفتُ على فقرات منها في رسالة "نصرة المظلوم" للشيخ ابراهيم المظفر، التي يردّ فيها على السيّد مهدي البصري، والتي

1 ـ الذريعة 15: 98/646.

طبعت في شهر ربيع الأوّل سنة 1345 هـ، وسوف أُشير اليها في الفصل الثالث من رسالتنا هذه.

ولم تكن رسالة "نصرة المظلوم" الوحيدة التي ردّت على السيّد مهدي، بل كافةّ الرسائل التي الفُتّ في الرد عّلى السيد محّسن الأمين، وجّهت انتقادها أيضاً للسيدّ مهدي ولرسالة "الصولة"، وسيأتي البحث مفصلاً عن هذه الرسائل في الفصل الثالث.

ونذكر هنا نبذة مختصرة عن حياة..

السيّد مهدي البصري

فنقول: هو السيّد مهدي ابن السيدّ صالح الموسوي القزويني الكاظمي البصري، ولد بالكاظمية سنة 1272 هـ، ودرس فيها العلوم الإسلاميّة، ثمّ هاجر إلى 2 سامراء سنة 1300 هـ، وحضر دروس الميرزا ابراهيم ابن المولى محمّد علي المحلاتّي الشيرازي، والشيخ اسماعيل القرشوي، ثمّ حضر بحث الخراج عند السيدّ الشيرازي.

وفي سنة 1314 هـ سافر إلى ايران لزيارة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام)، ومنها ذهب إلى الكويت وأصبح مرجعاً للأُمور الشرعيّة فيها إلى سنة 1343 هـ، فتركها وعاد إلى العراق واستقرّ في مدينة البصرة يمارس واجباته الدينيّة في الوعظ والإرشاد وإقامة الصّلاة جماعة والتأليف.

وكان(رحمه الله) مكثراً في التأليف، إذ خلّف مجموعة من الكتب والرسائل منها: "برهان الدين الوثيق في نقض عمدة التحقيق" و"نور الغالين" في الردّ على الشيخية، و"خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة" و"صولة الحق على جولة

الباطل"و"ضربات المحدّثين" و"مخزي الشيخية ومفاخر الشيعة" و"هدى المنصفين إلى الحق المبين" الذي سماه شيخ الشريعة الأصفهاني بـ"إلقام الحجر لمن تجبّر وجحد وتكبّر".

وتوفي(رحمه الله) يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة سنة 1358 هـ، وحُمل جثمانه إلى مدينة النجف الأشرف ودفن في الصحن الشريف في الحجرة التي على يسار الداخل إلى الصحن من باب المغرب المعروفة ببيان السلطاني[1].

المرحلة الثانية:

وهي التي تلت المرحلة السابقة، فبعد أن كتبَ السيّد مهدي البصري رسالته "الصولة" وكتب أيضاً عدة مقالات في الصحف العراقيّة ينتقد فيها بعض الشعائر الحسينيّة، وجّه أهالي البصرة عدة استفتاءات إلى علماء النجف الأشرف يطلبون منهم بيان الحكم الشرعي لهذه الشعائر، فكان جوابهم بين مؤيّد لها ومعارض. فأيّدها الميرزا حسين النائيني (ت 1355 هـ) والشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت1373 هـ)، وعارضها السيّد أبو الحسن الأصفهاني (1365هـ)[2].

وتصدّى الشيخ ابراهيم المظفّر لرد الانتقادات التي أوردها السيد مهدي البصري في رسالة "الصولة" فألف رسالة مستقلة في ذلك سمّاها "نصرة المظلوم" طبعت في أربع وستين صفحة في ربيع الأول سنة 1345 هـ في المطبعة العلويّة في مدينة النجف الأشرف[3].

1 ـ انظر: الذريعة 3:95 و153/304 و531، 7:168/194، 15:98/646، 20:165/2410، 25:203/275، معجم المؤلّفين: 318.

2 . انظر: هكذا عرفتهم 3:229.

3 . الذريعة 24:178/921.

وقام السيّد محسن الأمين بالدفاع عن الآراء الواردة في رسالة "الصولة"، فشرع بكتابة عدّة مقالات في الصحف البيروتيّة، ينتقد فيها بعض الشعائر الحسينيّة كضرب الرؤوس بالسيوف وضرب الظهور بسلاسل الحديد.

ثمّ قام بتأليف كتابين مهمّين في هذا الموضوع هما: "إقناع اللائم على إقامة المآتم"[1]، و"المجالس السنيّة في مناقب ومصائب العترة النبويّة"[2]، طُبعا معاً سنة 1343هـ.

و"المجالس السنّية" كتاب كبير يقع في خمسة أجزاء، ألّفه السيدّ الأمين لكي يكون مرجعا لخطباء المنبر الحسيني، إذ ضمنه الوقائع التأريخيّة الصحيحة في حياة الأنبياء وأهل البيت (عليه السلام) وواقعة الطفّ. الجزء الأوّل منه في واقعة الطفّ، والثاني في قصص الأنبياء وغزوات نبيّنا (صلى الله عليه وآله)، والثالث في حروب أمير المؤمنين (عليه السلام)، والرابع في

أخبار معاوية والإمام الحسن (عليه السلام)، والخامس في أخبار جميع المعصومين وتواريخهم. طبع عدّة مرّات، وتُرجم جزؤه الخامس إلى اللغة الفارسيّة.

المرحلة الثالثة:

تنحصر هذه المرحلة في وقوف الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت 1361 هـ) ضد الآراء التي أبداها السيّد الأمين حول بعض الشعائر الحسينيّة، التي نشرها في بعض الصحف البيروتيّة.

فتصدّى هذا الشيخ الجليل .وهو آنذاك أكبر رجال الدين في النبطيّة . لتلك الآراء قولا وعملا:

---

1 ـ الذريعة 2: 275/1115.

2 . الذريعة 19: 360/1610.

فألّف رسالة مستقلّة في ذلك سمّاها "سيماء الصلحاء"[1] طُبعت سنة 1345هـ.

وشجَّع الشعائر التي انتقدها السيدّ الأمين وفي مقدمتّها ضرب الرؤوس بالسيوف، مما أدى إلى توسع هذه الظاهرة وانتشارها وكثرة الضاربين رؤوسهم.

وإنّي لم أعثر على هذه الرسالة حين كتابة هذه الأسطر; لأقف بشكل دقيق على محتواها، نعم وقفتُ على فقرات منها، نقلها السيّد الأمين في رسالته "التنويه" في معرض ردّه على الشيخ عبد الحسين صادق، وسوف أورُد بعضها في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

ونذكر هنا نبذة مختصرة عن حياة..

الشيخ عبد الحسين صادق العاملي

فنقول: هو[2] الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ اواهيم ابن الشيح صادق الخيّامي النباطي العاملي النجّفي، ولد سنة 1279هـ، وقرأ بعض مقدّمات العلوم في جبل عامل، ثمّ هاجر إلى النجّف بلد العلم والهجرة وعمره أنذاك احدى وعشرون سنة، أعني سنة 1300 هـ في السنة التي توفّي فيها زعيم الإماميّة السيدّ مهدي القزويني ورفيقه العالم الشيخ فرح القرشي.

وأكمل مقدّماته في النجّف على الشيخ محمود ذهب (ت 1324 هـ)، والشيخ علي الخاقاني (ت 1334 هـ) والسيّد علي ابن السيّد محمد البحراني الغريفي (ت

---

1 ـ الذريعة 12: 292/1961.

2 . اقتبسنا هذه الترجمة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمدّ حرز الدين (ت 1365 هـ) في معارف الرجال 40:2.47.

1321 هـ). وحضر دروس الأعلام وتخرّج على المراجع العظام في النجف، حتّى صار مجتهداً وعالماً، شهد بفضله جل

أساتذته.

وكان كاملا، أديباً شاعراً، خفيف الروّح، مستقيم الذوق، أريحي الطبع، على غزارة علمه وفضله وقداسته وتقاه، ويعدُ في عداد الطبقة الأُولى من شعراء عصره. له شعر كثير محفوظ لمتانته وحسن سبكه، فيه النكات الأدبية والمناسبات.

من أساتذته: الشيخ محمّد حسين الكاظمي، والميرزا الخليلي، والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمّد طه نجف، والملا محمّد الشرابياني، والشيخ رضا الهمداني، والآخوند الخراساني.

ومن مؤلّفاته: "المواهب السنيّة في فقه الإمامية" و"جامع الفوائد" و"الشذرات في مباحث العقود والإيقاعات" و"منظومة في علم الكلام" و"منظومة في المواريث" و"كتاب في الإجارة والوصيّة والقضاء" و"أجوبة على مسائل عمر الرافعي" و"سيماء الصلحاء" ورسالة في الرّد على القسّ الحلبي صاحب كتاب المشرح" و"ديوان شعر".

وخرج الشيخ عبد الحسين من النجف حدود سنة 1315 هـ عائداً إلى بلده وهو عالم فقيه، أديب ماهر، متضلّع في الأدب، صلب الإيمان، ورع ثقة عدل، كريم النّفس دمث الأخلاق، يقوم بواجبه الديني إلى أن وافاه الأجل في شهر ذي الحجّة سنة 1361 هـ ودفن في النبطيّة.

المرحلة الرابعة

وهي التي كتبَ فيها السيّد محسن الأمين رسالته "التنزيه" رداً على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي، إذ نقل عبارات من "سيماء الصلحاء" ثمّ بدأ بردّها وبيان آرائه في الشعائر الحسينية، وسيأتي نصها الكامل في الفصل الثاني.

ردود الفعل على الرسالة

جاءت ردود الفعل على رسالة "التنزيه" من مختلف طبقات المجتمع: علماء، وفضلاء، وخطباء، وشعراء، وعامّة الناس.

واختلفت هذه الردود حسب مستوى الناس وثقافاتهم: فمنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة لصاحب الفتوى بالهداية، وأظهر آخرون معارضتهم لها باللسان والكتابة والشعر، وتجاوز البعضُ الحدودَ فاتهّم السيد الأمين بتهمٍ باطلة، وتجاسر آخرون عليه وعلى مؤيّديه بالسب واللعن.

فأُحاول في هذه الأوراق أن أبيّن ردود الفعل من المعارضين والمؤيدين، وعلى عدة مستويات:

رجال الدين:

عارض السيّد الأمينَ عددٌ كبير من رجال الدين، وفي مقدمتّهم مراجع دين، ومجتهدون، وكتابٌ معروفون، منهم:

(1) المرجع الدينيّ الكبير الميرزا حسين النائيني (ت 1355 هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز[1].

(2) المرجع الديني الكبير الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت 1373 هـ)، عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى[2]

بالجواز .

1 ـ معارف الرجال 2: 284، هكذا عرفتهم 1: 207.

2 . معارف الرجال 2: 272 ، هكذا عرفتهم 1:207.

وكانت لفتوى هذين المرجعين أثر كبيرٌ في نفوس الناس في العراق وخارجه، حيث استغلّها بعض المغرضين لتأليب الرأي العام على السيّد الأمين.

(3) المجتهد الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت 1361 هـ)، عارضه في النبطيّة بإصدار فتوى بالجواز [1] ، إضافةً لكتابته رسالة "سيماء الصلحاء".

(4) المجتهد الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين (ت 1377 هـ)، عارضه بإصدار فتوى بالجواز [2] .

وكانت لفتوى هذين العلمين أثرٌ كبيرٌ في لبنان.

(5) المجتهد والكاتب المعروف المجاهد الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت1352 هـ)، وكانت معارضته فعليّة، فلم يُسمع منه أيّ كلام ضدّ السيّد الأمين، بل كان هذا الشيخ الجليل على ضعفه وكبر سنّه يخرج أمام مواكب العزاء يضرب على صدره ورأسه وقد حلّ أزراره وطيّن جبهته. وكان له مجلس عزاء كبير جداً يُقيمُه في كربلاء المقدسة يوم عاشوراء، لازال الناس يتحدثونّ عنه [3] .

قال معاصره المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبة (ت 1377هـ):

"وكم له أمام المناوئين للحسين (عليه السلام) من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينيّة والمجالس العزائيّة، ولكنّه تمسك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام" [4] .

وقال الشيخ محمّد هادي الأميني (ت 1421هـ) بعد أن حكى قول الشيخ جعفر

1 ـ معارف الرجال 2: 41، هكذا عرفتهم 1:207.

2 . معارف الرجال 2: 51 ، هكذا عرفتهم 1: 207.

3 . شعراء الغري 2: 436.

4 . ماضي النجف وحاضرها 2: 62.

محبوبة السابق:

"فحين أفتى بعض العلويّين في الشام . وتبعه علويّ آخر في البصرة . بحرمة الشعائر الحسينية، وزمَرَّ وَطَبل عَلَىَ هذه الفتوى كثير من المغرضين المعاندين، شُوهد هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للعزاء يمشي وهو

يضرب على صدره وقد حلّ أزراره، وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطبل. ومن آثاره إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك، وعنه أُخذ حتىّ توسعّ فيه ووصل إلى حده ألّيوم"[1] .

(6) الحجّة الشيخ ابراهيم المظفرّ، عارضه بتأليف رسالة مستقلةّ في ذلك، وكذلك الأسماء الواردة بعده كلهمّ عارضوا السيد ّ الأمين بتأليف رسائل، يأتي الحديث عنها قريباً.

(7) الحجّة الشيخ عبد المهدي الحلّي.

(8) الحجّة الشيخ عبد المهدي المظفرّ.

(9) الحجّة السيدّ علي نقي اللكهنوي.

(10) الحجّة الشيخ محمدّ جواد الحجامي.

(11) الحجّة الشيخ محمدّ حسين المظفرّ.

(12) الحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين.

(13) الحجّة السيدّ نور الدين شرف الدين[2] .

ومن المراجع ورجال الدين الذين أيّدوا السيدّ محسن الأمين في فتواه:

---

1 ـ معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام 1: 353.

2 . أعيان الشيعة 10: 380.

(1) المرجع الدينيّ الكبير السيدّ أبو الحسن الأصفهاني (ت 1365 هـ)، أيّده بإصدار فتوى بالتحريم[1] .

(2) المجتهد المجاهد الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت 1382 هـ)، أيّده بإصدار فتوى بالحرمة، وقد أثرّت فتواه كثيرا ً في أوساط الشباب[2] .

(3) المجتهد المجاهد السيّد هبة الدين الشهرستاني (ت 1386 هـ)، أصدر فتوى بالحرمة، وقد أثرّت فتواه في بعض مدن ايران[3] .

(4) المجتهد الحجّة الشيخ جعفر البدري (ت 1369 هـ)، أيّده وسانده كثيرا[4] .

(5) الحجّة السيدّ حسين الحسيني البعلبكي (ت 1391 هـ)، أيّده كثيراً عندما كان في النجف الأشرف، وكذلك في لبنان[5] .

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: "ومنهم . أي الذين أيدّوا السيدّ الأمين . الجزيىء العامل، والموالي المؤيد ّبالعقيدة، السيد حسين البعلبكي، وهو صهر لأخت السيّد محسن الأمين"[6] .

(6) الحجّة الشيخ عبد المهدي الحجّار (ت 1358 هـ).

(7) الحجّة الزاهد الشيخ علي القمّي (ت 1371 هـ) وقد أظهر تأييده علناً وفي

---

1 ـ أعيان الشيعة 2:331، هكذا عرفتهم 1: 207.

2 . هكذا عرفتهم 1: 209.

3 . أعيان الشيعة 10: 261 ، هكذا عرفتهم 2:212.

4 . هكذا عرفتهم 1: 209.

5 . هكذا عرفتهم 3: 229.

6 . هكذا عرفتهم 3: 231.

المجالس والمحافل[1] .

(8) الحجّة الشيخ محمّد الگنجي، أيدّه بتأليف رسالة مستقلةّ، يأتي الكلام عنها قريبا.

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: "وكان من أبرز دعاة التحريم بعد طبقة العلماء الكبرى من النجّفيين الشيخ محمّد الگنجي، الذي سخّرَ قلمه ولسانه وكلّ نشاطه في شجب الضرب بالسيوف، وقد شجعّت جرأته الكثيرين على الالتفاق حوله"[2] .

(9) الحجّة الشيخ محسن شرارة (ت 1365هـ) أيّده بالكتابة في الصحافة.

قال الأُستاذ جعفر الخليلي: "أمّا البارزون من غير النجفيين . أي الذين أيدّوا السيدّ الأمين . فقد كان الشيخ محسن شرارة، وكان من العناصر المليئة بالإيمان وحرارة الدعوة في تحريم هذه التقاليد، وهو رجل لم ينل بعد يومذاك درجة الاجتهاد، فالتفّ حوله من أهل بلده من العامليين جماعة"[3] .

رسائل أُلفّت حول هذا الموضوع:

تضمّ حوزة النجف الأشرف . التي أسّسها الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) قبل ألف عام تقريباً . علماء كبار، ومراجع دين أتقياء، وكتّاباً لامعين، يصَلونُ الليل بالنهار في عمل دؤوب، لا يعرفون الملل والضجر، همهم الأول والأخير مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك عَبرَ المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف وصونه عن أي تغّيير

1 ـ هكذا عرفتهم 1: 209.

2 . هكذا عرفتهم 3: 230.

3 . هكذا عرفتهم 3: 231.

يطرأ عليه، أو أيّ أفكار دخيلة تصل إليه.

وما إن وصلت إلى النّجف الأشرف رسالة "التنزيه" حتّى انقسم الكتابّ فيها إلى معارضين وهم الأكثر، ومؤيدينّ وهم القلة القليلة، فألّف بعضهم رسائل رداً على رسالة الأمين، منها:

1) رسالة "إرشاد الأُمّة للتمسك بالأئمة (عليهم السلام) "، للحجةّ الشيخ عبد المهدي المظفرّ، طبعتُ في النجف الأشرف سنة 1348هـ[1].

2) رسالة "إقالة العاثر في إقامة الشعائر"، للحجّة السيدّ علي نقي اللكهوي، طبعُت في النجف الأشرف سنة 1348هـ[2].

3) رسالة السيّد نور الدين شرف الدينّ، التي نشر بَعضها في الصحفُ اللبنانية عّلى شكل مقالات[3].

4) رسالة "الشعائر الحسينيّة"، للحجّة الشيخ محمدّ حسين المظفرّ، طبعتُ في مطبعة النجاح ببغداد سنة 1348هـ[4].

5) رسالة "كلمة حول التذكار الحسيني"، للحجّة الشيخ مهدي الحجّار[5].

6) رسالة "نصرة المظلوم"، للحجّة الشيخ اواهيم المظفرّ[6].

---

1 ـ الذريعة 1: 512/2510.

2 . الذريعة 2: 263/1072.

3 . أعيان الشيعة 10: 380.

4 . الذريعة 14: 191/2136 5 . شعراء الغري 12:207.

6 . الذريعة 24: 178/921.

7) رسالة "النظرة الدامعة"، للحجّة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي[1].

8) رسالة "النقد التزيه" للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي، طبُعت في النجف الأشرف سنة 1347هـ[2].

وأمّا الكتابّ المؤيدّون للسيدّ الأمين. وكانوا قلة قّليلة. فقد واجهوا موجة علًرمة ملتهًبة من كل حدبّ وصوب، أدت إلّى ابتعاد بعضهم عن الأنظار خوفاً من النّاس.

ومع ذلك كلّه فقد جمعوا قواهم وأرعزوا إلى أحدهم تأليف رسالة مؤيدّة لسيدّ الأمين، فقام الحجةّ الشيخ محمد الكنجي بجمع فتاوى العلماء والمجتهدين المؤيّدين لما في رسالة "التنزيه"، وطبعها في رسالة مستقلّة سماّها "كشف التمويه عن رسالة التنزيه"، طُبعت في المطبعة العلويّة في النجف الأشرف سنة 1347هـ[3].

وفي الترجمة المفصّلة الكاملة لحياة السيدّ الأمين. التي كتُبت أكثرها بقلمه الشريف. المطبوعة في آخر موسوعته الكبرى "أعيان الشيعة" وردت عدّة عبارات لكتابّ معروفين، أيدّوا فيها رّاء السيدّ الأمين في رسالته "التنزيه":

قال الدكتور علي الوردي:

"يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان: الشيخ محمّد عبده في مصر، والسيّد محسن الأمين في الشام... وانيّ لا أزال أذكر تلك الضجّة التي اثُيرت حول الدعوة الإصلاحيّة التي قام بها السيد ّمحسن قبل ربع قرن. ولكنه ّصمد لها وقاومها

1 ـ الذريعة 24: 196/1030.

2 . الذريعة 14: 279/1437.

3 . الذريعة 18: 24/492، أعيان الشيعة 10:382.

باسلا، فلم يلين ولم يتردّد. وقد مات السيّد أخيراً، ولكن ذكراه لم تمت ولن تموت، وستبقى دهرا طويلا حتى ّتهدم هاتيك السخافات التي شوّهت الدّين وجعلت منه اضحوكة الضاحكين"[1].

وقال الشيخ محمّد رضا الشبيبي:

"شنّ السيّد الأمين حربا شعواء على الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي اعتبرت دينا عند بعض الطبقات، وما هي من الدين ولا من الشرع الشريف في شيء، فهو في طليعة المنادين في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي في الشرق العربي وفي غيره من الأقطار"[2].

الصُحف:

ولأهميّة هذه القضية وحساسيتها; لأنها تعدُ منُ الشعائر والمعتقدات التي لايمكن المساس بها عند عامة النّاس، نرى أن ّ الصحف وفي مختلف البلدان الإسلاميّة قد ألقت بدلوَها وأعطت رأيها فيها.

والمؤيّدون للسيّد الأمين لجأوا إلى الصحف أكثر من المخالفين له; لأنهّم القلة ّالقليلة، وقد سدتْ ّالأبواب في وجوههم، ولا وسيلة للدفاع عن آرائهم; لذلك اتّخذوا من الصحافة الحرّة ميداناً رحيبا لأقلامهم، فكتبوا فيها وكتبوا، حتى ّأن البّعض منهم كتب بأسماء مستعارة كـ"حبيب بن مظاهر" و"أبي نؤاس"[3].

1 ـ أعيان الشيعة 10: 382.

2 . أعيان الشيعة 10: 383.

3 . أعيان الشيعة 10: 381.

والذي ظهر لي من المصادر التي راجعتها أثناء كتابة هذه الأسطر أنّ عدداً ليس قليلا من الصحف شارك في هذه المعركة الفكريّة، إلا ّأنيّ لم اعثُر إلا علّى صحيفتين كان لهما الدور الرئيسي في ذلك، هما:

صحيفة "ديوان ميسج" التي كانت تصدر باللغة الانكليزيّة في الهند، وقد كتب صاحبها محمّد علي سالمين مقالات عديدة مؤيّدة للسيّد الأمين، وترجم بعضها إلى العربية[1].

وصحيفة "الهاتف" وإن كانت صدرت متأخّرة عن زمان الفتوى، إلاّ أنّ صاحبها الاستُاذ جعفر الخليلي كان له دور فعالّ في مناصرة السيّد الأمين سنة 1344 هـ وما بعدها، إذ يقول: "ولمّا كنتُ يومذاك موظفاً فقد نشرت مُقالاتي في الجرائد بتواقيع مستعارة"[2].

وهكذا فعل الشيخ محسن شرارة، والأُستاذ سلمان الصفواني، إذ كتبا مقالات في الصحف اللبنانيّة بأسماء مستعارة.

وأمّا المعارضون للسيدّ الأمين فلم يلجأوا إلى الصحف . كما قلنا . لوجود قنوات كثيرة لهم يبثُونّ فيها آراءهم، ومع ذلك فقد كتبَ أحدهم .وهو السيدّ نور الدين شرف الدين . مقالا في صحيفة لبنانيةّ يرد فُيها على السيد الأمين ورسالته "التنزيه". فانبرى له في هذه المرّة السيدّ الأمين ورد ّعليه بمقالة مفصلة، كما وانبرى للرد ّعليه بمقالة مفصلة أخرىُ شخص آخر وقع مقّالته باسم "حبيب بن مظاهر"[3].

---

1 ـ أعيان الشيعة 10: 380.

2 . هكذا عرفتهم 1: 209.

3 . أعيان الشيعة 10: 381.

الشعراء والخطباء:

من الطبيعيّ جداً أن يشارك الخطباء .وبعضهم شعراء في نفس الوقت . في هذه المعمعة الفكرية، فيؤيدّ بعضهم السيد الأمين ويعارضه آخرون.وهو حقّ من حقوقهم، كغيرهم من العلماء والكتاّب والمثقفيّن الذين أيدوّا وعارضوا.

لكن أن يأتي شاعر ويتعدّى الحدود المرسومة ويتجاسر على السيدّ الأمين ومؤيديّه وينعتهم بنعوت باطلة، ويتلاعب بعقول الناس ويحاول تمويه الحقائق عليهم، فهذا غير مسموح به،ولا أعتقد أنّ التأريخ سوف يمحو هذا عن صفحاته.

وعلى كلّ حال، فمن الشعراء الخطباء الذين كان لهم دور بارز في هذه الأحداث، هو الشاعر الكبير والخطيب المفوّه السيدّ صالح الحلّي (ت 1359 هـ)، الذي مدحه وأثنى عليه وعلى مقدرته الخطابيّة محبوّه ومبغضوه[1].

ومع ذلك كلّه نرى أنّ السيدّ الحليّ يقف موقفا معارضا بلً معاديا ومعانداً للسيدّ الأمّين، ويتعرض لهّ في مجالسه بالتصريح تارةً وبالإشارة أخرى، ويصفه بصفات باطلة، ومما قاله فيه:

ياراكِباً أماّ مررَت بـ (جلق)[2] فأَبْصق بوِجَه (أمينهَا) المتزندقِ[3]

ولم يكتف بذلك فقط، بل شنَّ حملة شعراء على كلّ المؤيدّين والمناصرين للسيدّ الأمين، فأخذ ينهال عليهم بالطعن والاتهامات الباطلة، حتّى وصل به الأمر

1 ـ انظر: البابليّات 4:133، أدب الطف 9:204 ـ 205.

2 . جِلّق: دمشق. معجم البلدان 2: 154 "جِلّق".

3 . هكذا عرفتهم 1:208.

إلى أن تجاسر على الموجع الدينيّ الكبير السيّد أبي الحسن الأصفهاني; لأنّه أيّد السيد الأمين.

"فشّ عليه غارة واسعة عنيفة بكلّ معنى العنف، ولم يترك لونا ًمن ألوان الزراية بالكناية والتصريح إلا وّصبغ به السيد أبا الحسن من فوق المنابر التي كان يرقاها، فكان يتصرّف من فوقها بعقول المستمعين تصرّف المالك، ويميل بها أنىّ شاء، بما كان يملك من مقدرة وموهبة وجرأة رفعته إلى أعلى الدرجات في سماء الخطابة والبلاغة"[1] .

فأصدر السيّد أبو الحسن الأصفهاني فتوى حرّم بها الاستماع لقراءة السيدّ صالح الحليّ، فأرخّ ذلك الشاعر الشيخ علي بزي قائلا:

أبو حسن أفتى بتفسيقِ (صالح) قراءته أرّختها (غير صالحة)[2]

وقال أيضاً يهجوه:

مُذ تردّى الشقي ّبالغيَ جهلا وإمام الزمانِ طرُا ًجفاه

قلتُ: يا مَن قد أرخوا (أحقيق قد رمى الله صالحاً بشقاه)[3]

ويقال: إنّ السيدّ رضا الهندي كان من المعارضين للسيدّ الأمين، وقد قال فيه:

ذريّة الزهراء إن عددتَ يوماً ليطرى الناس فيها الثنا

فلا تَعدوا (محسناً) منهم لأنّها قد أسقطت محسنا

وقيل: إنّ هذين البيتين في السيدّ محسن أبو طبيخ[4] .

ووقف الشاعر الشيخ مهدي الحجّار (ت 1358 هـ) موقف المؤيّد للسيدّ محسن

1 ـ هكذا عرفتهم 1:108.

2 . شواء الغوي 6:369 ، هكذا عرفتهم 1:111.

3 . شواء الغوي 6:369.

4 . هكذا عرفتهم 1:31.

الأمين، فأنشأ قائلا:

يا حُررأيكَ لا تحفل بمنتقدِ ... إنَّ الحقيقةَ لا تخفى على أحدِ

فهل على الشمسِ بأس حيث لم تَرَها ... عينٌ اُصيبت بداءِ الجهل لا الرمدِ

ومصلحٌ فاه بـ (التتويه) ليس لهُ ... غير الحقيقة إي والعدل من صددِ

إنّا على (عامل) نأسى لأنّ بها ... من لا يُفوّق بين الزبدُ والزبدَ

تأسَّ يا (محسن) فيما لقيت بما ... لا قاه جدّك من بغي ومن حسدِ [1]

هذا ما عرفتهُ عمّا دار في حلبة الشعر حول هذا الموضوع، ولعلّ المستقبل يطّلعنا على أكثر من ذلك.

عامّه الناس:

لم يكن النّاس، سواء في العراق أو لبنان أو غيرهما من البلدان الإسلاميّة، بعيدين عن هذه المعركة الفكرية القائمة آنذاك.

ومن طبيعة عوامّ الناس أن تحركهم العاطفة، خصوصا إذا كان المتحدثّون أو القائمون على عمل معينّ من الذين يجيدُون التلاعب بعقول البسطاء. فكيف إذا كانت القضيّة تتعلّق بالشعائر الدينية؟! فمن الطبيعي أن يشُرك الناس فيها مشاركة فعالة، ومن المتاسلم عليه أن يخسر المصلحون الساحةَ لوقت ما; لأنّ كلّ حركة إصلاحيةّ لابد لُهَّا من تضحية.

وفي هذه القضيّة بالذات كانت هنالك عدّة شخصياّت علميةّ واجتماعية بّارزة قد أعطت رأيها، وعملت على تحريك الساحة ضدّ فتوى السيدّ الأمين:

1 ـ أعيان الشيعة 10: 381، شعراء الغري 12: 207، هكذا عرفتهم 1: 208، أدب الطف 10: 314.

فبعض المراجع أصدر فتوى بالجواز.

وبعض الكتّاب ردّ على "التتويه" برسائل طبعُت ووزعّت مجانا.

والعلاّمة الجليل المجتهد والمصلح الشيخ محمّد جواد البلاغي على كبر سنة وضعفه يتقدّم مواكب العزاء بشكل مؤثر جداً.

والخطيب البارع المفوّه السيّد صالح الحليّ يحرّض الناس على السيد الأمين من فوق المنابر التي يعتليها، وهكذا.

فكانت ردّة الفعل عنيفة جداً، يصورها لنا أحد المعاصرين لها، وهو الاستاذ جعفر الخليلي قائلا:

"وانقسم الناس إلى طائفتين . على ما اصطلح عليه العوام .: "علويّين"، و"أمويّين". وعنُي بالأمويين: أتباع السيد محسن الأمين، وكانوا قلّة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا متستّرين خوفا من الأذى.

واتّخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرّد مهاجمة أعدائه واتهامه بالأموية، فكثر الاعتداء على الأشخاص، واهين عدد كبير من الناس، وضُرب البعض منهم ضرباً مبرحا.

وبدافع إعجابي بالسيّد محسن، وانطباعاتي عنه منذ الصغر، وإيماني بصحّة دعوته، أصبحت أُمويا وأمويا قحّاً في عرف الذين قسّموا الناس إلى أمويّين وعلويين. وكنت شُابا فائر الدم كثير الحرارة، فصببت جُرارتي كلها في مقالات هاجمت بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيّد أبي الحسن والذين هاجموا السيّد محسن.

وكنتُ أجد في كثير من الأحيان رسالة أو أكثر وقد أُلقي بها من تحت باب الدار، وهي تتضمّن . إلى جانب التهديد بالقتل . شتائم بذيئة تدلّ على خسّة وجبن.

وكان التيّار جارفاً، والقوة كلها كانت في جانب العلويين، وكان هؤلاء العلويون وأتباعهم يتفننون في التشهير بالذين سموهم بالأمويّين.

وبلغ من الاستهتار أن راح حملة القِرب وسقّاة الماء في مأتم الحسين يوم عاشوراء ينادون مرددّين: "لعن الله الأمين . ماء"، بينما كان ندلؤهم من قبل يتلخّص في ترديدهم القول: "لعن الله حرملة . ماء"، فأبدلوا "الأمين" بـ"حرملة" نكاية وشتما.

ولا تسل عن عدد الذين شُتموا وضُربوا واهُينوا بسبب تلك الضجة التي أحدثتها فتوى السيد الأمين يومذاك، وكان السبب الأكبر في كلّ ذلك هو العامليوّن . أعني أهل جبل عامل . الذين كانوا يسكنون النجف طلبا للعلم، وكان معظمهم من مخالفي السيّد محسن"[1] .

وقال الخليلي أيضاً:

"لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة اسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام . حيث تم طبعها . إلى العراق حتى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوىً في نفوس البعض، فأشعلوها فتنة شعواء تناولت السيد محسن الأمين وأتباعه بقسوة لا تُوصف من الهجاء والذمّ والشتم المقذع.

وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتوى العلماء، لقد خافوا أن يعُلنوا رأيهم في وجوب الذب عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها.

ومَن الذي كان يجرأ أن يُخالف للناس رأياً؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم؟!"[2] .

والغريب في الأمر أنّ تسمية المؤيّدين لآراء السيدّ محسن الأمين بـ"الأمويين" و"المتسننين" لم يصدر من عوام النّاس فحسب، بل صدر من بعض العلماء

---

1 ـ هكذا عرفتهم 1: 208 ـ 210.

2 . هكذا عرفتهم 1: 122.

والفضلاء أيضاً:

فالشيخ اواهيم المظفّر قال في رسالته "نصوة المظلوم":

"فعلمتُ من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي . إن تمتّ . على حياة الشيعة، وتيقنتّ إنّ كيّد المموهين وّالمنافقين وخاصة أفواد "الجمعيّة الأمويّة" ذلك الكيد الذي لا ينطلي إلا ّعلى السذجُ وّالبسطاء"[1] .

وقال المتتبّع الكبير الشيخ الطهواني (ت 1389 هـ) عند ذكوه لهذه الوسالة "نصوة المظلوم": "كتبها جواباً على بعض المتجدّدين المتسننّين"[2] .

وقال أيضاً عند ذكوه لوسالة "النظوة الدامعة" التي ألفّها الشيخ موتضى آل ياسين الكاظمي ردا ّعلى السيد الأمين: "كتبه ردا ّعلى بعض المتسنّنين المتجددّين"[3] .

والأغوب من ذلك كلّه أنّ الشيخ عبد الحسين قاسم الحليّ، في مقدمّة رسالته "النقد التويه لوسالة التنويه" أشار إلى السيد مهدي البصوي . باعتبار من أهل البصوة .وإلى السيّد محسن الأمين . باعتباوه من أهل الشام . بقوله: "إنّ الحسين (عليه السلام) لمّا قتُل بكى عليه جميع ما خلق الله مما ّوىُ ومما لا وىُ إلا ثلاثّة أشياء لم تبك عليه: البصوة، والشام، وآل الحكم بن أبي العاص"[4] .

---

1 ـ نصرة المظلوم: 3.

2 . الذريعة 24: 178/921.

3 . الذريعة 24:196/1030.

4 . النقد التويه: 3.

الفصل الثاني

النصّ الكامل لرسالة التنزيه

تمهيد

انتهى السيّد محسن الأمين من تأليفه هذه الرسالة في بيروت في الثامن عشر من شهر محرّم سنة 1346 هـ، وطُبعت أوّلا في مطبعة العرفان سنة 1347 هـ في اثنتين وعشرين صفحة[1]، ثمّ توالت طباعتها في لبنان والعراق وإيران، وتُرجمت إلى عدّة لغات[2].

وطُبعت أكثر هذه الرسالة في الجزء الأخير من موسوعته "أعيان الشيعة" في الحقل المُخصّص لترجمة السيد الأمين[3].

والنسخة الموجودة عندي والتي اعتمدتُ عليها في تصحيحها قد طُبعت في مطبعة دار الهداية للطباعة والنشر، تقع في اثنتين وثلاثين صفحة، خالية من تأريخ الطبع، ويظهر من مقدّمتها أنّها طبُعت سنة 1392هـ.

وطُبعت هذه الرسالة أخيراً في كتاب "الاختلاف والنقد ثمّ الإصلاح" لمؤلفه مختار الأسدي، سنة 1418 هـ، في مؤسّسة الأعراف للنشر في مدينة قم المقدّسة.

والظاهر أنّ الطبعتين الأخيرتين لهذه الرسالة قد سقطت منها عدّة عبارات وجمُل، وقفت عليها عند مقابلتهما مع الطبعة الأُولى لها، التي اعتمد عليها وحكى عباراتها الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في رسالته "النقد التزيه"، والشيخ محمدّ

1 ـ الذريعة 4:455/1027.

2 . أعيان الشيعة 10:380.

3 . أعيان الشيعة 10:373 وما بعدها.

الگنجي في رسالته "كشف التمويه".

عملنا في الرسالة

ضبطتُ نصّ الرسالة بمقابلتها مع الطبعات المتوفّرة لدينا . التي تقدمّ الحديث عنها قبل عدة أسطر .وأشرت فيُ الهامش إلى

الاختلافات والسقوط الواردة فيها، وخرّجتُ كلّ ما يحتاج إلى تخريج: من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث شريفة، وأماكن وبقاع.

كما وأوضحتُ معنى الكلمات اللغوية التي تحتاج إلى إيضاح، وترجمتُ ترجمة مختصرة لبعض الأعلام الذين أوردهم المصنّف، وعرّفتُ بشكل مختصر بأسماء الكتب الواردة فيها.

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلّى الله على سيّدنا وآله وسلّم.

وبعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى أوجب إنكار المنكر بقدر الإمكان بالقلب أو اليد أو اللسان، ومن أعظم المنكرات اتخاذ البدعة سنّة والسنّة بدعة والدعاية إليها وترويجها.

ولمّا كان إبليس وأعوانه إنّما يضلّون الناس من قبلِ الأمر الذي يروج عندهم، كانوا كثيراً ما يضلّون أهل الدين من طريق الدين، بل هذا من أضرِّ الإضلال، وقلّما تكون عبادة من العبادات أو سنةٌ من السنن لم يدخل فيها إبليس وأعوانه ما يفسدها.

فمن ذلك إقامة شعائر الحزن على سيّد الشهداء، أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام)، التي استمرّت عليها طريقة الشيعة من عصر الحسين (عليه السلام) إلى اليوم.

ولمّا رأى إبليس وأعوانه ما فيها من المنافع والفوائد، وأنّه لا يمكنهم إبطالها بجميع ما عندهم من الحيل والمكائد، توسلوا إلى إغواء النّاس بحملهم على أن يُدخلوا فيها البدع والمنكرات وما يشينها عند الأغيار; قصداً لإفساد منافعها وابطال ثوابها، فأدخلوا فيها أموراً أجمع المسلمون على تحريم أكثرها وأنّها من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هدّد الله فاعله وذمه في كتابه العزيز.

(1) فمنها: الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب، وهي تتلى على المنابر وفي المحافل بكرةً وعشياً، ولا من منكر ولا رادع. وسنذكر طرفاً من ذلك في كلماتنا الآتية إن شاء الله، وهو من الكبائر

بالاتفاق، لا سيما إذا كان كذباً على الله أو رسوله أو أحد الأئمة (عليهم السلام).

(2) ومنها[1]: التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه، سواء كان لإثارة السرور أو الحزن، وهذا يستعمله جملة من القرّاء بدون تحاش. ولم يستثنِ الفقهاء من ذلك إلا غناء المرأة في الأعراس بشرط أن لا تقول باطلاً ولا يسمع صوتها الأجانب، وعدّه العلاّمة الطباطبائي من الكبائر[2] في ما حكاه عنه صاحب "الجواهر"[3] لقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}[4].

(3) ومنها: إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها بضرب الرؤوس وجرحها بالمُدى[5] والسيوف حتّى يسيل دمها، وكثيراً ما

يؤدّي إلى الإغماء بنزف الدم الكثير، وإلى المرض أو الموت، وطول برء الجرح. وبضرب الظهور بسلاسل الحديد، وغير ذلك. وتحريم ذلك ثابت بالعقل والنقل، وما هو معلوم من سهولة الشريعة وسماحتها الذي تمدّح به رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: "جئتكم بالشريعة السهلة السمحاء"[6] ، ومن رفع الحرج والمشقّة في الدين بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيكُمَ ْ ُ ْ

1 ـ هذا الإشكال بكامله لم يرد في النسخة المتوفّرة لدينا من رسالة التنزيه، حكاه عنها الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في "النقد النزيه": 28، والشيخ محمّد الگنجي في "كشف التمويه": 30.

2 .رياض المسائل 8:155.

3 . جواهر الكلام 22:44.

4 . سورة لقمان: الآية 6.

5 . المُدْيَة، بالضم: الشفرة، وقد تكسر، والجمع مديات وَمدًى. الصحاح 6:2490 "مدى".

6 . الكافي 5:494 باب "كراهية الرهبانيّة وترك الباه" الحديث الأول، وفيه "بعثني بالحنيفية السهلة السمحة".

ومسند أحمد بن حنبل 5:266 ، تفسير القرطبي 19:39 ، الطبقات الكبرى 1:140 وفيها "بُعثتُ بالحنيفية السمحة".

فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾[1] .

(4) ومنها: استعمال آلات اللهو كالطَبَلِ[2] والزَمْر[3] (الدمّام)[4] والصنوج[5] النحاسيّة، وغير ذلك، الثابت[6] تحريمها في الشرع، ولم يستثنِ الفقهاء من ذلك إلاّ طبل الحرب والدف في العرس بغير صنج.

(5) ومنها: تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل، وتحريمه ثابت في الشرع[7] .

(6) ومنها: إركاب النساء الهوادج مكشّفات الوجوه، وتشبيههنّ ببنات رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهو في نفسه محرّم; لما يتضمنّه من الهتك والمثلة، فضلا عمّا إذا اشتمل على قبح وشناعة اخرى، مثلما جرى في العام الماضي في البصرة من تشبيه امرأة

1 ـ سورة الحجّ: الآية 78.

2 .وهي عدّة أنواع، يأتي الحديث عنها في الفصل الثالث.

3 . يقصد به المِزْمار، والزَمْرُ: التغني بالمزمار.

4 . لا معنى لهذه الكلمة هنا، فهي إمّا خطأ مطبعيّ، أو سهو من قلمه الشريف. والدمّام بلغة العامة في عرف العراقيين: هو الطَبَل.

5 .وهي عدّة أنواع، يأتي الحديث عنها في الفصل الثالث.

6 . من هنا إلى آخر هذه العبارة لم يرد في رسالة "التنزيه" المطبوعة المتوفّرة لدينا، أثبتناها من رسالتي "النقد النزيه": 117، و"كشف التمويه": 49.

7 .وتحويمه ثابت في الشوع: لم ترد فيرسالة "التتويه" المطبوعة المتوفّرة لدينا، أثبتناها منرسالتي "النقد التويه": 143، و"كشف التمويه": 50.

خاطئة بزينب (عليها السلام) وإركابها الهودج حاسرة على ملأ من الناس، كما سيأتي[1].

(7) ومنها: صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، وصوت المرأة عورة[2]، ولو فرض عدم تحريمه فهو معيب شائن مناف للآداب والمروءة، يجب تنزيه المآتم عنه.

(8) ومنها: الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

(9) ومنها: كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر، ويختلف الحال فيه بالنسبة إلى الأقطار والأصقاع، إلى غير ذلك.

فإدخال هذه الأشياء في إقامة شعائر الحزن على الحسين (عليه السلام) من تسويلات إبليس، ومن المنكرات التي تغضب الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وتغضب الحسين (عليه السلام). فإنّه إنمّا قتلُ في إحياء دين جده (صلى الله عليه وآله) ورفع المنكرات، فكيف يرضى بفعلها لا سيما إذا فُعلت بعنوان أنّها طاعة وعبادة؟!

وقدرأينا في هذه الأيام أوراقاً مطبوعة[3]، ذكر فيها صاحبها أنّه يردّ على ناشئة عصرية من صفتها كذا وكذا، فطائفة منها زدلفت إلى مشاهدهم المقدّسة ببقيع

---

1 ـ كما سيأتي: لم ترد في رسالة التنزيه المطبوعة المتوفّرة لدينا، أثبتناها من رسالتي "النقد النزيه": 147، و"كشف التمويه": 53.

2 . وصوت المرأة عورة: لم ترد في رسالة "التنزيه" المطبوعة المتوفّرة لدينا، أثبتناها من رسالتي "النقد التزيه": 150، و"كشف التمويه": 54.

3 . هي رسالة "سيماء الصلحاء" التي ألّفها سنة 1345 هـ الشيخ عبد الحسين بن ابراهيم بن صادق العاملي (ت 1361هـ) وردّ فيها على ما كتبه السيّد محسن الأمين في بعض الصحف اللبنانية معترضا عًلى بعض الشعائر الحسينية.

الغَرَقدَ[1] فهدمتها، وطائفة منهم قد تألّبت لإبطال إقامة العزاء للنبيّ وآله وعترته أيام وفياتهم المعلومة لا سيما يوم عاشوراء.

ثمّ ذكرَ حسُن إقامة المآتم والبكاء على الحسين (عليه السلام) بما كفيناه مؤنته في كتابنا "إقناع اللائم على إقامة المآتم"[2]، كما كفيناه مؤنة الثاني في كتابنا "كشف الارتياب في اتّباع محمّد بن عبد الوهاب"[3] وفي قصيدتنا "العقود الدريّة"[4].

وحسَّن فيها ما يفعله بعض الناس أيام عاشوراء: من لبس الأكفان وكشف الرؤوس وجرحها بالمدى والسيوف حتىّ تسيل منها الدماء وتلطّخ بها تلك الأكفان، ودقّ الطبول وضرب الصنوج والنفخ في البوقات "الدمام" وغير ذلك، والسير في الأزقة والأسواق والشوارع بتلك الحالة.

وعوَّض بنا وببعض فضلاء السادة في البصرة[5] بسوء القول; لنهينا عن قراءة

1 ـ بقيعُ الغَرْقَد: مقبرة أهل المدينة. معجم البلدان 4:194.

2 . طبع سنة 1343 هـ في آخر الجزء الرابع من كتابه الآخر "المجالس السنيّة"، وطبع مؤخّرًا سنة 1417 هـ. انظر الذريعة 2: 275/1115.

3 . طبع سنة 1346 هـ في مجلّد واحد في خمسمائة وخمسين صفحة، وقام بردّه عبد الله بن علي القصيمي في كتاب سماه "الصواع بين الإسلام والوثنيّة" وقد طبع مجلّده الأوّل سنة 1346 هـ في خمسمائة وسبع عشرة صفحة. انظر الذريعة 9/420: 18.

4 . وهي قصيدة طويلة في ردّ شبهات الوهابيّة، طبعت مع "كشف الارتياب". انظر الذريعة 15:302/1936.

5 . هو السيّد مهدي . أو محمّد مهدي . بن صالح الموسوي الكاظمي البصري، ولد بالكاظميّة سنة 1272 هـ، ودرس فيها، ثمّ هاجر إلى سامراء، ثمّ إلى الكويت، ثمّ جاء إلى البصرة وسكن فيها إلى أواخر حياته، حيث أصبح عالمها الديني. له مؤلفاتٌ كثيرة في ردّ الفرق الضالّة، وهو أوّل من استشكل على الشعائر الحسينيّة في البصرة سنة 1343 هـ، وكتب عدّة مقالات في الصحف العراقيّة يدعو لتهذيب هذه الشعائر، وألّف رسالة مستقلّة في ذلك سماها "صولة الحق عّلى جولة الباطل"، توفي فّي ذي القعدة سنة 1358 هـ، ودفن في مدينة النجف الأشرف، وسيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث. انظر الذريعة 7:168/894 و15:98/646.

الأحاديث المكذوبة، وعن هذا الفعل الشائن للمذهب وأهله، والمنفّر عنه، والملحق به العار عند الأغيار، والذي يفتح باب القدح فيه وفي أهله، ونسبتهم إلى الجهل والجنون وسخافة العقول، والبُعد عن محاسن الشرع الإسلامي، واستحلال ما حكم الشرع والعقل بتحريمه من إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها، حتّى أدّى الحال إلى أن صارت صورهم الفوتوغرافيّة تعرُض في المسارح وعلى صفحات الجرائد.

وقد قال لنا أئمتنا (عليهم السلام): "كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا"[1]، وأمرونا بأن نفعل ما يقال لأجله: "رحم الله جعفر بن محمّد ما أحسن ما أدّب به أصحابه"[2]. ولم ينقل عنهم أنّهم رخّصوا أحداً من شيعتهم في ذلك، ولا أمروهم به، ولا فعل شيء

1 ـ أخرج الشيخ الكليني في الكافي 2:77 باب الورع الحديث 9 بسنده عن أبي أسامة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث له أنّه قال: "وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً".

وأخرج الشيخ الكليني في الكافي أيضاً 2:219 باب التقيّة الحديث 11 بسنده عن هشام الكندي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث له أنّه قال: "كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً".

وفي الفقه المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام): 48، وعنه في مستدرك الوسائل 8: 314 الحديث 13 عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: "كونوا لنا زيناً ولا تكونوا شيناً".

2 . أخرج النعمان بن محمّد بن منصور التيمي في دعائم الإسلام 1:56، وعنه في مستدرك الوسائل 8: 310 الحديث 3

بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "رحم الله فلاناً ما كان أحسن ما يؤدبّ أصحابه".

وأخرج أيضاً في دعائم الإسلام 1:64 ، وعنه في مستدرك الوسائل 8:312 الحديث 9 بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال "رحم الله فلاناً ما أحسن ما كان يؤدبّ أصحابه".

الصفحة 46

من ذلك في عصرهم لا سوّاً ولا جرماً.

وقد كُتب على ظهرها "أنّها للمصلح الكبير"!! أفهذا هو الإصلاح الذي يوصف صاحبه بالمصلح الكبير، بالحث على امُور لو فرض محالا أنّه ليس محرّما فهو مما يلصق العار بالمذهب وأهله، وينفر الناس عنه، ويفتح باب القدح فيه؟!

أليس من الورع في الدّين والاحتياط فيه التحاشي عنه؟

أمّا يقتضي الإصلاح . لو كان القصد الإصلاح . تركه والتجافي عنه; صيانةً للمذهب وأهله من إلصاق العيب بهم والتنفير عنهم؟ فلو فرض إباحته فهو ليس من واجبات الدين التي يضرّ تركها.

وكُتب على ظهرها أيضاً "أنّها طبعت على نفقة الجمعية الدينية في النبطية (كذا)".

وقد أفاض صاحبها في ذكر خرافات العرب قبل الإسلام ممّا لا مساس له بالموضوع، وفي امُور اخُر كثيرة من هذا القبيل بعبارات مطوّلة.

ولسنا بصدد استقصاء جميع ما فيها ممّا يوجب الانتقاد; لأنّ ذلك يطول به الكلام ولا يتعلقّ لنا به غرض، بل نقتصر على شقّ الرؤوس واستعمال الطبول والزمر ونحوها، ونذكر نموذجاً من كلامه في غيرها مما وقع نظرنا عليه اتفاقاً; ليكون مثالا لغيره.

الصفحة 47

كقوله: "نعم، كانت حال سيّدنا الحسين (عليه السلام) ومَن على شاكلته من آله وصحبه . كما ذكر . لا بغية لهم بتلك الوثبة الليثيّة إلاّ إرجاع الحق لنصابه، وعود الملك لأهله، والخلافة الإسلامية لسيرتها الاولى. لا يتقمصّها [1] سوى قرشيّ جامع لشرائطها، ضليع في العلم والحلم والورع والزهد والقضاء والحكم والشجاعة والوراعة، فائقاً أقرى المسلمين نهضة بأعباء الطاعة، وأثقال خالص العبادة، ونصرة الحقّ وخذلان الباطل. يقول فصلا، ويحكم قسطاً، ويقسم عدلا. لم يسدل بينه وبين الأُمّة حجاباً، ولم يقمُ على أبوابه حجاباً، مواسيا أضعف المسلمين في خشونة الملبس وجشوبة المطعم [2] ، قد ثقفته الحكمة الإلهيّة، وهذبّته السنةّ النبويةّ. فلا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تقعده عن قول الحق عذلة عاذل" [3] إلى آخر ما هناك.

وجاء فيها قوله: "علماء الأُمّة الغير متهمّين (كذا) بمبالغة ولا تشنيع" [4] .

وقد تكرّر منه إضافة ما فيه "ال" إلى الغير في منها كقوله: "اللغة الغير عربيّة" [5] .

وقوله: "الغير مشروع" [6] .

1 ـ أي لبسها كالقميص. في الصحاح 3:1054 "قمص": قَمَّصَهُ قَميصاً فَتَقَمَّصَهُ: أي لبسه.

وهو إشارة لقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبته الشقشقيّة: "أمّا والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة". نهج البلاغة: 26 ، شوح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 1: 151.

2 . طعامٌ جشِبٌ ومجشوبٌ: أي غليظ وخشن. ويقال: هو الذي لا ادم معْهَ. الصحاح 1: 99 "جشبَ"، القاموس المحيط 1: 48 "جشبَ".

3 . الصفحة: 20 "إشارة لرسالة سيماء الصلحاء في إثبات جواز إقامة العزاء لسيّد الشهداء (عليه السلام) للشيخ عبد الحسين بن إبراهيم صادق العاملي (ت 1361هـ)".

4 . الصفحة: 22.

5 . الصفحة: 42.

6 . الصفحة: 79.

وفي موضع آخر: "قال الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أبي الصيقل (كذا)"[1] .

وفي موضع آخر: "من نسيج هذا البكاء وعلى طرزه وشاكلته بكاء اللعين ابن سعد الخصم الألد والعدو المبين إلى آل ياسين (كذا)"[2] .

وجاء فيها أيضاً: "مَن ذا الذي يجتوىء من الامُةّ الإسلامية ّعلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى صحابته كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وعائشة وأمُ ّسلمة وابني عباس ومسعود وأضرابهم، من حمَلة الكتاب ونقلة َالسنة وّخدمة العلم وأئمّة المذهب، فيرمي الجميع بسخطهم على الله وتوهّمهم من حكمه وقضائه وامتحانه وبلائه حين يلم على سيرتهم (كذا)، ويسبر صحائف تأريخهم فيراهم بأسوهم كانوا يبكون لفقد أغوائهم وأحبائهم"[3] .

[الحسن والقبح العقليين]

وجاء فيها ما لفظه: "الحسن والقبح للأشياء وإن كانا ذاتيين لها لا بالوجوه والاعتبار على الأقوى، بَيدْ َأن كونها كذلك نريد به أنّ الأشياء من قبيل المقتضيات للحسن والقبح . نظير النار للإحراق . يؤثّران حيث لا مانع. أمّا مع وجوده فلا، كالصدق الذي فيه هلكة نبيّ والكذب الذي فيه منجاته، فيبطل تأثيرهما، كالرطوبة في الحطب المبطلة لإحراق النار له"[4] .

ولم نَدرْ ِما وجه الأقوائية ّفي كون حسن الأشياء وقبحها ذاتيا،وّإذا كان ذاتيا . ّ ً

1 ـ الصفحة: 27.

2 . الصفحة: 28.

3 . الصفحة: 28.

4 . الصفحة: 32.

وما بالذات لا يتغيّر . فكيف يكون الكذب المُنجي للنبي ّحسنا وًالصدق المهلك له قبيحا إذاً كان قبح الكذب وحسن الصدق ذاتيّاً، وكلامه يدل ّعلى أنه ّتوهم أن الأفعال هي التي اقتضت قبح نفسها وحسنها وأثرت ّفيه.

[ما نقلته جرائد بيروت]

وجاء فيها: "ومن فجائع الدهور، وفظائع الأُمور، وقاصمات الظهور، وموغرات الصدور، ما نقلته بعض جرائد بيروت في هذا العام عمّن نحترم أشخاصهم من المعاصرين الوطنيين[1] ، من تحبيذ ترك المواكب الحسينيّة والاجتماعات الغرائيّة بصورها المجسّمة في النبطيّة وغيرها. فما أدري أصدق َالناقل أم كذب؟! فإن كان صادقا فًالمصيبة على الدين جسيمة عظيمة، لا يفوء بهاولا ينهض بعبئها عاتق المدنيين"[2] إلى آخر ما هناك.

ونقول: هنا التهويل وتكثير الأسجاع لا يفيد شيئاً، ولو اُضيف إليه أضعاف من قاطعات النحور، ومجففّات البحور، ومفطرّات الصخور، ومبعثرات القبور، ومهدمّات القصور، ومسقطات الطيور.

بل إنّ من فجائع الدهور، وفظائع الاُمور، وقاصمات الظهور، وموغرات الصدور، اتخّاذ الطبول والزمور، وشق ّالرؤوس على الوجه المشهور، وإواز شيعة أهل البيت وأتباعهم بمظهر الوحشيّة والسخريّة أمام الجمهور، مما ّلا يرضى به عاقل غيور، وعدُّ ذلك عبادة ونسبته إلى أهل البيت الطهور.

---

1 ـ يقصد به السيّد محسن الأمين قبل تأليفه لهذه الرسالة.

2 . الصفحة: 42.

والمواكب الحسينيّة والاجتماعات الغرائيّة لا تحسن ولا تحل ّإلا بتّتويهها عما حّرمه ّالله تعالى، وعما يشّين ويعيب وينسبُ فاعله إلى الجهل والهمجيّة. وقد بينّا أن ّالطبل والزمر، وايذاء النفس، والبروز بالهيئة المستبشعة، مما ّحرمة الشرع ولم يرضه لأوليائه، سواء وقع في النبطيّة أو القرشيّة أو مكة المكرّمة.

[نقل الخُطباء للأحاديث والوقائع المكذوبة]

وجاء فيها: "قالو: إنّا نجد قرّاء التعزية كثيرا ًما يسردون على مسامع الجالسين أحاديثا[1] (كذا) مكذوبة"[2] .

وأجاب بما لفظه: "وكثير من أساطين العلماء يعملون بضعاف الأخبار في السُّنن، ومن المعلوم أنّ روايات التعزية من سنح[3]

الرخص لا الغوائم، والله يحبّ أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بغوائمه" .

وإنّا نسأله: ما ربط عمل العلماء بالخبر الضعيف في السُّنن بأخبار التغزية التي هي امُور تأريخية ّلا أحكام شرعية؟

وما ربط الخبر الضعيف بالمقام، والقائل الموهوم إنّما قال: إنهّم يوردون أحاديث مكذوبة، ولم يقل ضعيفة الإسناد؟

وما معنى أنّ روايات التغزية من سنخ الرخص لا الغوائم; فالرخصة خاصة بالمباح والمستحبّ والمكروه، والغزيمة بالحرام والواجب؟ فما معنى أنّ روايات

---

1 ـ والصحيح "أحاديثَ"; لأنّه ممنوع من الصرف.

2 . الصفحة: 46.

3 . الصفحة: 49.

التغزية من الرخص؟ فهل تلك الروايات نفسها مباحة أو مكروهة أو مستحبّة؟

فإن كان المراد نفس الرواية، فلا تتّصف بشيء من ذلك.

وإن كان المراد نقلها، فأيّ معنى لكون نقلها رخصة لا غزيمة، مع أنّها إن كانت كذبا ًكان نقلها محرما ً.

وإن كان المراد مضمونها، فهو قصّة تأريخيّة لا تتصّف برخصة ولا غزيمة. ولو فرض أن مّضمونها حكم شرعي فلابد أنّ يكون أحد الأحكام الخمسة التكليفيّة، فكيف جعل رخصة فقط؟

وقوله: "إنّ الله يحبّ أن يؤخذ برخصة... إلى آخره" لا ربط له بالمقام; إذ معناه أن ّالله يحب أن يخففّ على عبده بترك المستحب مثلا، كما يحب أن يلتزم بفعل الواجب وترك المحرّم، فما ربط ذلك بإيراد الرواية المكذوبة في التغزية؟

[اللحن في القراءة]

وجاء فيها: قالوا: "وجلّهم . أي قراء التغزية . يتلو الحديث ملحونا"[1] .

وأجاب بما ملخّصه على طوله:

"إنّ المستمعين امُم عديدة ألسنتها شتى، منهم عربي وفارسي وتركي وهنديو... إلى آخره، ومنهم عوام، فينقل لهم معنى الأحاديث بألفاظهم العاميّة . إلى أن قال: وأي حاجة ماسّة للعربية الفصحى في قراءة التغزية على امةُ ّاميةُ كمّعدان[2] العراق وقروية

---

1 ـ الصفحة: 46.

2 . كلمة "المعدان" في العراق تُطلق على سكان القرى والأرياف.

وفي القاموس المحيط 1:351 "عدد": المُعيَدْي، تصغير المعدىَ، ّخففت الدّال استثقالا للتشديدين مع ياء التصغير. و"تسمع

بالمُعيَدْي خّير مّن أن تواه أو لا تواه" يضوُب في من شهر وُذِكَر وتُروَى مرأتْه.

الصفحة 52

الشام وسكان بادية نجد والحجاز واليمن، والمصطلحين فيما بينهم على وضع ألفاظ معلومة"[1].

وأنتَ ترى أنّ الجواب غير منطبق على هذا المقال الموهوم، فالقائل يقول: "الأحسن رفع اللحن من قراءة التغزية"، وهو يقول في جوابه: "إنّ المستمعين منهم عربي وفارسي وتركي وهندي"، فما ربط الفارسي والتركي والهندي والجاوي[2] بالمقام؟

فلم يقل القائل: إنّه لا ينبغي قراءة التغزية بالتركية للأتراك وبالفارسية للفرس وبالهندية للهنود، بل يقول: ينبغي لقراء التغزية بالعربيّة للعرب عدم اللحن.

ولم يقل: إنّه لا ينبغي أن يقرأ الحديث بالمعنى، حتّى يجيبه بأنّ منهم عواما فيُنقل لهم الحديث بالمعنى بألفاظهم العامية. على أنّ ذلك أمر غير واقع، فليس في قراء التغزية منَ يقرأ بالألفاظ العامية، بل كلهمّ يقرأون بالعربية الفصحى ولكن مع اللحن من البعض.

والقائل لم يأبَ عن قراءة التغزية بالألفاظ العاميّة كالنعي المتعارف، بل يقول: إذا قُرِئ الشعر لا يحسن أن يكون ملحونا، وإذا نُقل حديث أو خطبة ينبغي أن لا يكون فيه لحن.

والقائل يقول: "لا ينبغي اللحن في قراءة التغزية"، وهو يقول في جوابه: "لا يلزم قراءتها بالعربيّة الفصحى".

ولو فرضنا أنّه أراد من العربيّة الفصحى: عدم اللحن، فيقال له: إذا أي حاجة إلى

1 ـ الصفحة: 46.

2 . الجَوُّ: اسم بلد، وهو اليمامة، يمامة زرقاء. الصحاح 6:2306 "جوا".

الصفحة 53

ترك اللحن في جميع الكلام؟ ولماذا وُضع النحو وكتب العربيّة؟ وهل قراءة الفاعل مخفوضاً والمفعول مرفوعا تزيد في فهم المعاني لمعدان العراق، وقرويّة الشام، وسكان بادية نجد واليمن النازلين بأرياف مصر، والحاليّن في نواح حضر موت، والمتبوّئين صحراء افريقيا وبلاد المغرب؟

وما الذي يضرّه من عدم اللحن في قراءة التغزية، وما القارئ إلاّ خطيب؟

وما الذي يدعوه إلى كلّ هذه المدافعة عن اللحن في القراءة، أهو حبّ الإصلاح، أم أمر آخر؟

وهل إذا تلونا الحديث والشعر بدون لحن، فاستجلبنا به قلب ذي المعرفة ولم ننفّره بسماع الغلط، وصنّا الحديث عن اللحن والغلط وعن الخطأ في فهم المعنى بسبب اللحن، ولم نجعل تفاوتاً على غير ذي المعرفة الذي لا يضرّه رفع الفاعل ولا يزيد في فهمه خفضه، يكون عملنا هذا مضرّاً وعكسه نافعاً؟ والمستمعون كما يوجد فيهم المعدان يوجد فيهم أهل العلم والمعرفة.

[اختلاق الأخبار ومسخها]

قال: "وممّن طعن على القرّاء للتعزية بعض المعاصرين،زعم أنّ الكثير منهم بين مخلّق [1] (كذا) للأخبار وبين ماسخ لها، وعنده هذا الطعن عليه" [2] انتهى.

ومراده كاتب هذه السطور، الذي بعد ما ذكرَ في مقدّمة "المجالس السنيّة"حسُن إقامة العزاء والبكاء على سيد الشهداء، واستدلّ عليها بأوضح الأدلّة

1 ـ والصحيح "مختلق".

2 . الصفحة: 51.

وأمتنها، قال ما لفظه:

"هذا، ولكن كثراً من الذاكرين لمصابهم (عليهم السلام) قد اختلقوا أحاديث في المصائب وغيرها لم يذكرها مؤرّخ ولا مؤلّف، ومسخوا بعض الأحاديث الصحيحة وزادوا ونقصوا فيها; لما يرونه من تأثيرها في نفوس المستمعين الجاهلين بصحّة الأخبار وسقمها" [1] إلى آخر ما ذكرناه.

و"المجالس السنيّة" إنّما ألفنّاها لتهذيب قراءة التعزيةّواصلاحها من العيوب الشائنة والمحرماّت الموبقة من الكذب وغيره، وانتقاء الأحاديث الصحيحة الجامعة لكلّ فائدة. فقام هذا الرجل يرمينا بأنّ هذا الطعن علينا بأننّا نختلق الأحاديث ونمسخها، وجاء بعبارته هذه التي جمجم فيها وبتّرها،وأبتْ نفسه إلاّ أن يذكرها.

والله تعالى يعلم،وعباده يعلمون،وهو نفسه يعلم أنّنا لسنا كذلك،وأننّا نسعى جهدنا ونصرف نفيس أوقاتنا وعزيز أموالنا في تأليف الكتب وطبعها ونشرها، لا نستجدي أحداًولا نطلب معونة مخلوق; قصداً لتهذيب الأحاديث التي تقرأ في إقامة العزاء من كلّ كذب وعيب وشين، ليكون الذاكرون من الخطباء الذين تستجلب قراءتهم الأنظار وتستهوي إليها الأفئدةوالأسماع وتستميل الطباع، وليكون أثرها في النفوس بقدر ميلها إليها، ولتكون مفخراً للشيعة لا علاً عليهم، وتكون قراءتهم عبادة خالصة من شوب الكذب الموجب لانقلابها معصية.

فإنّ إقامة شعائر الحزن بذكر صفات الحسين (عليه السلام)، ومناقبه ومآثره، ووصف شجاعته وإبائه للضيم، وفظاعة ما جرى عليه، وذكر المواعظ والخطب والآداب، ومستحسن أخبار السلف وغير ذلك، والتخلّص إلى فاجعة كربلاء على النهج

1 ـ المجالس السنيّة: 6 ـ 7.

المألوف مع تهذيبها عن المنافيات والمنكرات، من أنفع المدارس،وأقوى أسباب التبشير بالدّين الإسلامي وطريقة أهل البيت (عليهم السلام)، وجلب القلوب إلى حبّهم والسيّر على طريقتهم والاتصّاف بكريم صفاتهم.

كما أنّ إقامتها على غير هذه الطريقة من أقوى أسباب التنفير عن دين الإسلام وطريقة أهل البيت (عليهم السلام)، يعرف ذلك كلّ منصف، ونحن نذكر لك واقعة واحدة تكون نموذجاً لما نقوله، وهي:

إنّه اتفق وجودنا في مدينة بعلبك في وفاة بعض أجلاءّ السادّة آل مرتضى، فقرأ رجل من قراءّ التعزية . الذين عوداّهم على عدم اللحن في القراءة . خطبةً من "النهج" في صفة الأموات، وكان بعض علماء المسيحيّين حاضراً فقال لجلسائه:

"إنّني لم أعجب من بلاغة هذا الكلام الذي هو غاية في البلاغة،ولا من جري الخطيب في قراءته كالسيل،ولا من مضامين هذا الكلام الفائقة وإن كان ذلك كلّه موضع العجب،وإنمّا عجبت ُمن عدم لحن هذا القارىء فيما قرأه على طوله".

[روايات ضعيفة]

يقول: "إنّنا نزعم أنّ الكثير منهم بين مختلق للأخبار"[1] ثمّ يشتمنا بهذا القول!! وما ندري ما الذي نزعمه هو؟ أنزعم أنهّم كلّهم ليسوا كذلك؟! كيف وغالبهم عوام يخلطون الحابل بالنابل.

ولا ننكر أنّ فيهم الفضلاء الكاملين الذين يفُتخر بأمثالهم، وقليل ما هم، ولكن الكثير منهم ليسوا كذلك، كما هو مشاهد بالعيان، ويجهل أو يتجاهل قراءتهم حديث

---

1 ـ الصفحة: 51.

"أين ضلّتراحلتك يا حسّان"[1] الذي اختلقه بعض آل قفطان[2] على سطح مسجد الكوفة، كما هو مشهور عند فضلاء النجف وغيرهم.

أو حديث: "خرجتُ أتفقدّ هذه التلاع مخافة أن تكون مظناّ لهجوم الخيل على مخيمنا يوم يحملون وتحملون"، والا فلّيدلنا قّي أيّ كتاب هذا الحديث؟وأيّ رواية جاءت به ضعيفة أو صحيحة؟

أم حديث: "إنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصم، ولفحة الهجير لا تجففّ البحر الخضم".

أو حديث قول شمر للحسين (عليه السلام): "بعدك حيّاً يا بن الخارجي".

أو حديث: "أي جرح تشدّه لك زينب".

أو حديث مخاطبة زينب للعباس حين عرض شمر عليه وعلى إخوته الأمان.

أو حديث مجيء زين العابدين لدفن أبيه مع بني أسد.

أو حديث برّة الصدف التي حاربت مع الحسين (عليه السلام).

أو حديث مجيء الطيور التي تمرّغت بدم الحسين (عليه السلام) إلى المدينة، ومعرفة فاطمة الصغرى بقتل أبيها من تلك الطيور.

أو غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تُتلأ على المنابر وهي من الكذب الصراح، والتي يطول الكلام بالإشارة إليها في هذه العجالة.

أم نزعم أنّ قراءة الأحاديث المختلقة خير من قراءة الأحاديث الصحيحة

---

1 ـ يأتي في الفصل الثالث الكلام مفصّلا عن هذا الحديث والأحاديث التي تتلوه، التي أوردها السيّد الأمين كمصاديق على نقل الخطباء للأحاديث والوقائع المكذوبة.

2 . هو الشيخ حسن ابن الشيخ علي السعدي الرباحي الدجيلي، المعروف بـ"قفطان" (ت 1287 هـ)، وسيأتي الحديث عنه مفصّلا في الفصل الثالث.

المرويّة; قصداً للإصلاح؟!

وحاصل مقصود هذا المصلح الكبير أن لا ينبّه أحد من قُرّاء التعزية على ترك قراءة الأحاديث المكذوبة، ولا على ترك اللحن، ولا على قراءة بعض ما ينفّر السامعين، بل يرد أن تبقى الأحاديث ممزوجاً صحيحها بسقيمها، وغثّها بسمينها، وصدقها بكذبها، وخطأها بصوابها، وقشورها بلبابها، ولحنها بإعرابها، فحبّذا هذا الإصلاح!!

وما ندري ما الذي يسوءه من حمل القرّاء على قراءة الأحاديث الصحيحة، وما الذي يعجبه من قراءة الأحاديث المكذوبة والملحونة وليس هو بقارىء تعزية، ولا أقامة القرّاء محامياً ووكيلا عنهم؟

[الحجامة والتطبير]

وممّا قاله في تحسين لبس الأكفان وكشف الرؤوس وشقّها بالمدى والسيوف يوم عاشوراء:

"ما الذي نقموه على هذه الفئة، وسفّهوا لأجله أحلامها، وأخرجوها به من دائرة الإنسانيّة:

ألبسها لبس الموتى؟ فهذا عمل غير معيب عقلا، وهو مشروع ديناً في إحرام الحجّ، ومندوب في كل آن; تذكرة للآخرة وتأهبها للموت . وكفى واعظاً . ومن الغرور بالدنيا محذّراً ومنذراً.

أم كشفها عن رؤوسها؟ وهذا أيضاً مُستحسن طباً، مشروع بالإحرام دينا.

أم بضعها رؤوسها بآلة جارحة؟ وهذا أيضاً مسنون شرعاً; إذ هو ضرب من الحجامة، والحجامة تلحقها الأحكام الخمسة التكليفيّة: مباحة بالأصل، والراجح منها مستحبّ،

والمرجوح مكروه، والمضرّ محرّم، والحافظ للصحة واجب. فقد تمسّ الحاجة إلى عمليّة جراحية تُفضي إلى بتر عضو أو أعضاء رئيسيّة; حفظاً لبقية البدن وسداً لرمق الحياة الدنيوية، والحياة الدنيا بأسرها وشيكة الزوال والاضمحلال.

أتباح هذه الجراحة الخطرة لفائدة ما دنيويّة، ولا تباح جراحة ما في إهاب الرأس [1] لأعظمها فائدة، وأجلّها سعادة اُخروية

وحياة أبديّة، وفوز بموافقة الأبرار في جنّة الخلد"[2] انتهى.

قوله: "الحجامة مباحة بالأصل".

بل هي محرّمة بالأصل; لأنّها ضرر وايذاء للنفس،ولا تحلّ إلا مع الضرورة; لدفع مرض أو ألم أعظم منها،والا كانت كفعل حجّام ساباط الذي ضرب به المثل فقيل: "أفرغ من حجّام ساباط"[3] ، وكان إذا لم يجد مَن يحجمه حجم زوجته

---

1 ـ إهاب الرأس: الجلد الذي يعلو الرأس. الصحاح 1:89 "أهب".

2 . الصفحة: 79.

3 . في مجمع الأمثال للميداني 2:465/2813 : كان حجّاماً ملازماً لساباط المدائن، فإذا مرّ به جند قدّ ضربُ عليهم البعث حجمهم نسيئة بدانق واحد إلى وقت قُفولهم، وكان مع ذلك يعبر الإسبوع والإسبوعان فلا يدنو منه أحد، فعندها يخُرج امهُ فيحجمها حتّى يُري الناس أنهّ غير فارغ، فمازال ذلك دأبه حتىّ أترف دَم امّه فُمّاتت فجأة، وقيل: إنه حجّم كسرىَ أبرويز مرة في سفره ولم يعد; لأنّه أغناه عن ذلك.

وفي جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري 2:91/1501 بعد ذكر الكلام السابق قال: قال شاعر محدَث:

دارُ أبي القاسِم مَفْروُشةٌ ما شئتَ من بُسْط وَأَنْماطِ
وَبُعْدُ ما يأتِيكَ من خَيْرِهِ كَبُعْدِ بَلْخ من سُمَيْسَاطِ
مَطْبِخُهُ قَفْرٌ وطَبَّاخُهُ أَفْرَغُ من حَجَّامِ سَابَاطِ

وأولاده.

قوله: "والموجوح مكروه".

فيه: أنّه يشمل المكروه والحرام، ولم يبيّن متى يكون موجوحاً.

قوله: "والواجح مستحبّ".

فيه: أنّه يشمل الواجب والمستحبّ.

قوله: "والحافظ للصحّة واجب".

فيه: أنّه لا يجب دائماً، فمع الخوف على النفس يجب، وبدونه يستحب.وحيث جعل شق الرؤوس نوعا منَ الحجامة، فهو: إمّا واجب، وذلك حينما يخشى الضارب على نفسه الهلاك لو لم يضرب نفسه، بأن يخبره الطبيب الحاذق أنّ في رأسه مرضاً مُهلكاً لا يشفيه إلا جرح رأسه وشقه.

أو مستحبّ بأن يكون الضارب محموماً حمى شديدة، ويخبره الطبيب الحاذق أنّ دواءه في شقّ رأسه واخراج الدم منه، ويشترط في هذين عدم التعرّض للشمس وشدّة الحركة الذي قد يوجب شدّة مرضه أو هلاكه.

وإمّا محرّم، وذلك حيث يكون إيذاء صرفا وضررا بحتا.

وحيث إنّ الذين يضربون رؤوسهم ليس في رؤوسهم داءولا في أبدانهم حمى، فانحصر فعلهم في الحرام. وإذا كان محرّما لم يكن مقرّباً إلى اللهولا موجبا لثوابه، بل موجبا لعقابه، ومغضبا لله، ولرسوله (صلى الله عليه وآله)، وللحسين (عليه السلام) الذي قتل لإحياء شرع جدّه (صلى الله عليه وآله).

قوله: "قد تمسّ الحاجة إلى عمليّة جراحية... إلى آخره".

الصفحة 60

فيه: أنّ العمليّة الجراحيّة المفضية إلى بتر العضو أو الأعضاء تباح، بل تجب; لأنها مقدمةٌ لحفظ النفس الواجب، وتباحُ لأجل الضرورة، فإنّ الضرورات تبيح المحظورات، فيقدّم الأهم .وهو حفظ النفس . على المهم .وهو عدم الإيذاءوالاضرار .

ويرتكب أخفّ الضررين. ولكن الحرام لا يباح لإرضاك المستحبّ، فالاستحباب لا يعارض الحرمة،ولا يطاع الله من حيث يُعصى،ولا يتقبّل الله إلا من المتقين.

ومن ذلك يعلم أنّ قوله: "أتباح هذه الجراحة الخطرة لفائدة ما دنيويّة،ولا تباح جراحة ما في إهاب الرأس لأعظمها فائدة وأجلّها سعادة اُخروية؟!" كلام شرعي، فإن الفائدة الاخرُوية .وهي الثواب . لا تترتب على فعل المحرم، فلا يكون في هذا الفعل إلاّ الضرر الدنيوي والاُخروي.

وما أشبه هذا الكلام الشرعي بما يُحكى أنّ رجلا صوفياً سرق تفاحة وتصدق بها، فسأله الإمام الصادق (عليه السلام) عن سبب فعله ذلك فقال: إنّه لما سرقها كتبت عليه سيئة، فلما تصدق بها كتب له عشر حسنات; لأن: **{مَنْ جاء بَالحِسْنَة فلَهَ عِشَرُ أَمثالَها وَمن جَاْء بالسيَئةِ فلاَ يُجْزِى إلاَ مثْلهْا}**[1] فإذا أسْقَطنا سيئة من عشر حسنات بقي تسع حسنات.

فقال له الصادق (عليه السلام): "إنّ هذا جهل، أو ما سمعتَ قوله تعالى: **{إنمَّا يتقبلَ اَللّهُ من ُالمتقْين}**[2]، إنّك لما سرقت التفاحة كُتبت عليك سيئة، فلما تصدقت بها كتبُت عليك سيئة اخرُى; لأنك تصدقت بغير مالك" أو ما هذا معناه.

1 ـ سورة الأنعام: الآية 160.

2 . سورة المائدة: الآية 27.

ثمّ قال: "لا يقال: إنّ السعادة والفوز غداً لا يترتبان على عمل ضرري غير مجعول في دين الله.

لأنّا نقول: أولاً: الغير مشروع (كذا) في الإسلام من الامور الضررية: هو ما خرج عن وسع المكلف ونطاق طاقته; لقبح التكليف حينئذ بغير مقدور. أمّا ما كان مقدوراً، فلم يقم برهان عقلي ولا نقلي على منع جعله.

وكونه شاقّاً ومؤذياً لا ينهض دليلا على عدم جعله، إذ التكاليف كلها مشتقة من الكلفة وهي المشقة، وبعضها أشد من بعض. وأفضلها أحرزها"[1]. وعلى قدر نشاط المرء يكون تكليفه، وبرزنة رياضة المرء نفسه وقوّة صبره وعظمة معرفته يكلف بالأشق; زيادة للأجر وعلواً للرتبة ومزيداً للكرامة.

ومن ها هنا كانت تكاليف الأنبياء أشق من غيرها، ثمّ الأوصياء، ثم الأمثل فالأمثل. وفي الخبر "إن عظيم البلاء يكافئ عظيم الجزاء"[2] وفي آخر "إنّ أشدّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم الأمثل فالأمثل من المؤمنين وعباد الله الصالحين"[3] وهكذا

1 ـ بحار الأنوار 67: 191 و237 و82:332 وفيها "أفضل الأعمال أحمزها" و79: 279 وفيه "أفضل العبادات أحمزها".

2 . روى الشيخ الكليني في الكافي 2:109 باب كظم الغيظ الحديث 2 بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "فإنّ عظيم الأجر لمن عظيم البلاء، وما أحبّ الله قوماً إلا ابتلاهم".

ورواه أيضاً في الصفحة 252 باب شدّة ابتلاء المؤمن الحديث 3 وفيه "لمع" بدل "لمن".

وروى في نفس الباب الحديث 8 عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "إنّ عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء، فإذا أحبّ الله عبداً ابتلاه بعظيم البلاء".

3 . في الكافي 2:252 باب شدّة ابتلاء المؤمن الحديث الأول عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: "إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الأمثل فالأمثل".

وفي الحديث الثاني من نفس المصدر وفي نفس الباب، قال الإمام الصادق (عليه السلام): "سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَن أشد الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال: النبيّون، ثم الأمثل فالأمثل".

إلى الطبقة السفلى، وهي طبقة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فهم أخفّ تكليفاً من سائر الطبقات"[1] انتهى.

قوله: "لا يترتّبان على عمل ضرري غير مجعول في دين الله".

فيه: أنّ الجعل للأحكام لا للأعمال، فيقال: هذا الحكم مجعول في دين الله، أو غير مجعول في دين الله، أو غير مجعول. ولا معنى لقولنا: هذا العمل مجعول في دين الله، أو غير مجعول. بل يقال: جائز أو غير جائز، أو نحو ذلك.

قوله: "لأنّا نقول: أولاً: الغير مشروع (كذا) في الإسلام... إلى آخره".

فيه: أولا: أنّ قوله: "الغير مشروع" لحن غير مسموع تكرّر وقوعه منه، كما نبهّنا عليه; إذ لا يجوز دخول "ال" على المضاف إلاّ إذا دخلت على المضاف إليه كالجعد الشعر.

ثانياً: أنّه ذكر أولا ولم يذكر ثانيا.

قوله: "أمّا ما كان مقدوراً فلم يقم برهان عقليولا نقلي على منع جعله".

فيه: أوّلا: أنّ الكلام في العمل الذي فيه ضرر، كما صرّح به في قوله: "لا يترتبان على عمل ضرري"،والجعل للحكم لا للعمل كما مرّ، فكأنّه اشتبه عليه ما سمعه من أنّ الله لم يجعل حكما ضرريا بمقتضى قوله (صلى الله عليه وآله): "لا ضرر ولا ضرار" [2]، وما يريد أن يثبته من أنّ الله يجوز أن يكلّف بما فيه ضرر كشق الرؤوس، فخلط أحدهما بالآخر.

---

1 ـ الصفحة: 79.

2 . سنن الدارقطني 4:228/84 و85.

ثانياً: قوله: "لم يقم برهان عقليولا نقلي على منع جعله".

إن أراد به أنّه لم يقم برهان على جواز أن يكلّف الله بما فيه ضرر، فأين قول الفقهاء: دفع الضرر المظنون واجب؟

وأين اكتفاؤهم باحتمال الضرر الموجب لصدق خوف الضرر في إسقاط التكليف؟

وأين قولهم بوجوب الإفطار لخائف الضرر من الصوم، وببطلان غسل مَن يخاف الضرر; لحرمة الغسل،واقتضاء النهي الفساد في العبادة، ووجوب التيمّم في العبادة؟

وأين قولهم بوجوب الصيام وإتمام الصلاة على المسافر الذي يخاف الضرر على نفسه بالسفر; لكون سفره معصية؟ وقولهم بسقوط الحجّ عمّن يكون عليه عسر وحرج في الركوب والسفر، أو يخاف الضرر بسفره؟ إلى غير ذلك من الأحكام المنتشرة في أبواب الفقه.

قوله: "وكونه شاقّاً ومؤذياً لا ينهض دليلا على عدم جعله".

فيه: أنّه أعاد لفظ الجعل، وقد عرفت أنّه ليس له هنا محلّ.وجمع بين الشاق والمؤذي، وهما غيران حكما وموضوعا، فالمؤذي .وهو الضّار . يحرم فعله ولم يكلّف الله به،والشاق ّ الذي فيه عسر وحرج . لم يكلفّ الله به; لقوله تعالى: **{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}** [1] إلاّ في موارد مخصوصة، لكن ربما يجوز فعله إذا لم يكن مضراً.

ومن الطريف قوله: "التكاليف كلّها مشتقّة من الكلفة".

---

1 ـ سورة الحج: الآية 78.

فإنّ الكلفة إذا بلغت حدّ العسر والحرج أسقطت التكليف كما عرفت،واذا بلغت إلى حد الضرر أوجبت حرمة الفعل. و"أفضل

الأعمال أحمزها" إذا لم تصل إلى حدّ الضرر، وإلاّ حرمت فضلا عن أن تكون أفضل أو غير أفضل.

قوله: "على قدر نشاط المرء يكون تكليفه... إلى آخره".

فيه: أنّ تكاليف الله لعباده واحدة، لا تتفاوت بالنشاط والكسل وقوّة الصبر وعظمة المعرفة.

فالوا جبات يكلّف بها الجميع، لا يسقط واجب عن أحد بكسله وضعف صبره وحقارة معرفته، ولا يباح محرّم لأحد بشيء من ذلك، ولا يجب مباح ولا يحرم على أحد بقوّة صبره ونشاطه وعظمة معرفته، وكذا المستحبّات والمكروهات.

نعم، الكسلان كثيراً ما يترك المستحبّ، وقليل الصبر كثيراً ما يفعل المكروه، والتكليف في الكلّ واحد، وليس في الشريعة تكليف لشخص بغير الشّاق ولآخر بالشّاق، ولشخص بالشاقّ ولآخر بالأشق بحسب تفاوت درجاتهم ومراتبهم في النشاط والرياضة والصبر والمعرفة.

ومن ها هنا تعلم فساد قوله: "من ها هنا كانت تكاليف الأنبياء أشقّ من غيرها، ثمّ الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل". نعم كلفُ نبيّنا (صلى الله عليه وآله) دون غيره بأشياء خاصّة مثل صلاة الليل فكانت واجبة عليه، كما أبيح له أشياء خاصة دون غيره مثل الزيادة على أربع أزواج، وباقي التكاليف يتساوى فيها مع غيره، وأين هذا ممّا نحن فيه؟!

قوله: "وفي الخبر: إنّ عظيم البلاء يكافئه عظيم الجزاء".

هذا أجنبيّ عن المقام; إذ المراد بالبلاء: هو المصائب الدنيويّة، من موت

---

1 ـ بحار الأنوار 67: 191 و237 و82:332.

الأولاد، وذهاب الأموال، والقتل، وتسلّط الظالم، وأمثال ذلك. وأيّ ربط لهذا بما نحن فيه من التكليف بالشاقّ أو ما فيه ضرر.

وهكذا خبر "إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم الأمثل فالأمثل"، وليس معناه أشد النّاس تكليفا، بلّ المراد المصائب والبلايا الدنيويّة التي تصدر عليهم، كما صدر على النبيّ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) وأوليائهم.

وفي أيّ لغة يصحّ تفسير البلاء بالتكليف؟ وهل الذين يشقّون رؤوسهم من أمثل الطبقات حتىّ كلفوا بذلك، والعلماء وخيار المؤمنين ليسوا كذلك، فلم يكلّفوا به ولم يفعلوه؟!

وأمّا المستضعفون: فهم القاصرون في الإدراك، الذين رفع الله عنهم بعض التكاليف التي لا يمكنهم معرفتها لقصور إدراكهم، كما رفع التكاليف عن المجانين لحكم العقل بقبح تكليف الجميع، فأين هذا ممّا نحن فيه؟!

قال: "ولو كان الشاقّ .وإن دخل تحت القدرة والطوق . غير مشروع، ما فعلته الأنبياء والأولياء، ألم يقم النبي (صلى الله عليه وآله) للصلاة حتّى تورّمت قدماه؟!

ألم يضع حجر المجاعة على بطنه مع اقتداره على الشبع؟!

ألم تحجّ الأئمة مشاة حتّى تورّمت أقدامهم مع تمكنهّم من الركوب؟!

ألم يتّخذ علي بن الحسين البكاء على أبيه دأباً، والامتناع من تناول الطعام والشراب حتىّ يمزجهما بدموعه ويغمى عليه في كلّ يوم مرّة أو مرتين؟!

أيجوز للنبيّ وآله (صلى الله عليه وآله) إدخال المشقّة على أنفسهم; طمعا بمزيد الثواب، ولا يجوز لغيرهم؟!

أيباح لزين العابدين أن يقول بنفسه ما يقوله من الآلام; تأثّراً وانفعالا من مصيبة أبيه، ولا يباح لوليّة أن يؤلم نفسه لمصيبة إمامه؟!

أينفض العباس الماء من يده وهو على ما هو عليه من شدّة الضمأ; تأسيّا بمعطش

أخيه، ولا نقتص أثره؟!

أيقرح الرضا جفون عينيه من البكاء .والعين أعظم جارحة نفيسة .ولا نتأسى به فنقرح على الأقل صدورنا ونجرح بعض رؤوسنا؟!

أتبكي السماء والأرض تلك بالحمرة وتأتي بالدم العبيط، ولا يبكي الشيعيّ بالدم المهراق من جميع أعضائه وجوارحه؟!

ولعلّ الإذن من الله لسمائه وأرضه أن يقرف (كذا) على الحسين، ما يشعر بترخيص الإنسان الشاعر لتلك المصيبة الراتبة أن يقرف من دمه ما استطاع ترفه إجلالا وإعظاماً.

وهب أنّه لا دليل على الندب، فلا دليل على الحرمة، مع أنّ الشيعيّ الجارح نفسه لا يعتقد بذلك الضرر، ومن كان بهذه المثابة لا يلزم بالمنع من الجرح وإن حصل له منه الضرر اتّفاقاً"[1] انتهى.

وقد عرفتَ أنّ المشقّة إذا وصلت إلى حد العسر والحرج أوجبت رفع التكليف بالإجماع; لقوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيكُمَ فِيُ ِ الدِّينِ مِن حَرَجٍ}[2] ولم توجب تحريم الفعل، وإذا وصلت إلى حدّ الضرر أوجبت رفع التكليف وحرمة الفعل.

أمّا استشهاده بقيام النبيّ (صلى الله عليه وآله) للصلاة حتىّ تورمّت قدماه، فإن صح فلا بد أنّ يكون من باب الاتفاق، أي ترتّب الورم على القيام اتفّاقاً، ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) يعلم بترتبه، والا لمّ يجز القيام المعلوم أو المظنون أنه يؤدّي إلى ذلك; لأنّه ضرر يرفع التكليف ويوجب حرمة الفعل المؤدّي إليه.

1 ـ الصفحة: 80.

2 . سورة الحجّ: الآية 78.

وإلاّ فأين ما اتفّق عليه الفقهاء من أنهّ إذا خاف المكلفّ حصول الخشونة في الجلد وتشققه من استعمال الماء في الوضوء، انتقل فرضه إلى التيمّم ولم يجز له الوضوء، مع أنّه أقل ضررا وإيذاء من شق الرؤوس بالمدى والسيوف إلى غير ذلك.

وأمّا وضعه (صلى الله عليه وآله) حجر المجاعة على بطنه مع اقتداره على الشبع، فلو صحّ لحمُل على صورة عدم خوف الضرر الموجب لحرمة ذلك، لكن من أين ثبت أنّه (صلى الله عليه وآله) كان يتحمل الجوع المفرط الموجب لخوف الضرر

اختيارا مع القوة على الشبع.

وكذا استشهاده بحجّ الأئمّة (عليهم السلام) مشاة، وهو من هذا القبيل.

أمّا بكاء علي بن الحسين (عليهما السلام) على أبيه المؤدّي إلى الإغماء وامتناعه عن الطعام والشراب، فإن صحّ فهو أجنبيّ عن المقام، فإنّ هذه امور قهرية لا يتعلق بها تكليف، وما كان منها اختياريا فحاله حال ما مر.

وأمّا نفض العباس الماء من يده تأسيّا بعطش أخيه، فلو صح لم يكن حجة; لعدم العصمة.

وأمّا استشهاده بتقويح الرضا (عليه السلام) جفون عينيه من البكاء، فإن صحّ فلا بد أن يكون حصل ذلك قهرا واضطرارا لا قصداً واختيارا، والا لحرم. ومن يعلم أو يظن أن البكاء يقرح عينيه فلا يجوز له البكاء إن قدر على تركه; لوجوب دفع الضرر بالإجماع وحكم العقل.

أمّا قوله: "أتبكي السماء... إلى آخره" فكلام شعري صرف لا يكون دليلا ولا مؤيدا لحكم شرعي.

أمّا قوله: "وهب أنه لا دليل على الندب فلا دليل على الحرمة" فطريف; لأن الأصل في المؤذي والمضر الحرمة، ودفع الضرر واجب عقلا ونقلا.

ومثله قوله: "مع أنّ الشيعي الجارح لا يعتقد بذلك الضرر" فإنّ الجرح نفسه ضرر وايذاء محرم، ولا يحتاج إلى اعتقاد أنه يترتّب عليه ضرر أو لا، وذلك لا يتفاوت فيه الشيعي وغيره، فالكلّ ذو لحم ودم لا دخل فيه للمذهب.

[لِمَ تقولون مالا تفعلون؟!]

ثمّ نقول عطفاً على قوله: "أيقرح الرضا جفون عينيه ولا نتأسى به فنقرح على الأقل صدورنا ونجرح بعض رؤوسنا؟!":

إنّا لم نركم جرحتم مرّة بعض رؤوسكم ولا كلها، ولا قرحتم صدوركم من اللطم، ولا فعل ذلك أحد من العلماء، وانما يفعله العوام والجهلة: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ}[1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ}[2].

ونقول عطفاً على قوله: "أتبكي السماء والأرض بالحمرة والدم ولا يبكي الشيعي بالدم المهراق من جميع أعضائه؟!":

إنّنا ما رأيناكم أهرقتم دماً طول عمركم للحزن من بعض أعضائكم ولا من جميعها، فلماذا تركتم هذا المستحبّ المؤكد تركاً أبديّاً وهجرتموه هجراً سرمدياً، ولم يفعله أحد من العلماء في عمره بجرح صغير كبضعة الحجام؟! ولماذا لم يلبسوا الأكفان ويحملوا الطبول والأبواق، وتركوا هذه المستحبّات تفوز بها العوام والجهلة دونهم؟!

1 ـ سورة البقرة: الآية 44.

2 . سورة الصفّ: الآية 2 . 3.

قال: "ولعلّ إمساك النكير من علماء الشيعة عن هذه الفئة التي شعار حزنها على الإمام الشهيد بتبضيع رؤوسها وإهراق دمائها: إمّا لأنهّم يرون أعمالهم مستحبةّ تعظيما لشعائر الدين الذي هو من تقوى القلوب"[1].

ونقول: لو كان الأمر كذلك لكان ينبغي للعلماء أن يبادروا إلى هذا الفعل ويكونوا هم المبتدئين به، فيدقّوا الطبول ويضربوا بالصنوج وينفخوا في الأبواق، ويخرجوا حاسرين لابسي الأكفان ضاربين رؤوسهم وجباههم بالسيوف أمام الناس; لتقتدي بهم كما اقتدت فهم في نصب مجالس العزاء وغيرها، فهم أحقّ الناس بتعظيم شعائر الدّين لو كان هذا منها، وإذا لم يفعل الجميع ذلك فعلى الأقل واحد أو اثنان أو ثلاثة من العلماء مع أنّهم يعدّون بالألوف.

ولم تكن هذه الأعمال معروفة في جبل عامل، ولا نقل أنّ أحداً فعلها فيه. وانمّا أحدثها فيه في هذا العصر بعض عوام الغرباء، وساعد على ترويجها بعض مَن يرتزق بها.

ولم ينقل عن أحد من علماء جبل عامل أنّه أذن فيها أو أمر بها في عصر من الأعصار، حتّى في الأعصار التي كان جبل عامل يتمتّع فيها بحريتّه التامةّ في عهد امرائه من الشيعة، الذين كان لهم فيه الحول والطول من آل علي الصغير والصعبية والمناكرة، كعصر الأمير العظيم الشيخ ناصيف النصّار شيخ مشايخ جبل عامل، والأمير الشيخ عباس صاحب صور، وحمد البك، والشيخ علي الفارس، وعلي بك الأسعد، وتامر بك، وغيرهم رحمهم الله تعالى أجمعين، مع كثرة العلماء في عصرهم، وشدّة إطاعتهم لأوامرهم.

1 ـ الصفحة: 82.

ولا في عصر أحد من علمائنا المتأخّرين المعاصرين كالشيخ عبد الله نعمة، والشيخ محمدّ علي عزّ الدين، والسيدّ حسن ابراهيم، والشيخ موسى شرارة الذي بذل جهده في نشر إقامة شعائر العزاء وأدخل فيها كثيراً من الإصلاح، والسيدّ علي محمود، والسيّد محمدّ محمود، والسيدّ حسن يوسف، وغيرهم من علماء جبل عامل الأعلام قدسّ الله أرواحهم.

بل لم ينقل ناقل أنّ أحداً فعلها من عوام الشيعة، ولا أنّ أحدا أجازها من علمائهم في الأعصار التي كانت ملوك البلاد الإسلاميّة فيها كلهّا شيعة، وذلك في العصر البويهي الذي كان ملك فارس والعراق وغيرها فيه لآل بويه، ولم يكن لخلفاء بني العباس معهم إلاّ الاسم، وملك الشامات والجزيرة لبني حمدان، وملك مصر وافريقيا والمغرب للفاطميين.

وكان في عصرهم من أجلاّء علماء الشيعة وعظمائهم أمثال الشيخ المفيد، والشريفين المرتضى والرضي. مع ما كان عليه بنو بويه من التشدّد في نشر إقامة العزاء، حتّى كانت في زمانهم تعطلّ الأسواق في بغداد يوم عاشوراء، وتقام مراسم العزاء فيها وفي الطرقات، ولم ينقل أحد أنّه وقع في زمانهم شيء من جرح الرؤوس بالسيوف والمدُى.

قال: "على أنّ جلّ أساطين علمائنا المتأخرّين كشيخ الطائفة الشيخ جعفر في "كشف الغطاء"، والميرزا القميّ في "جامع الشتات"، والحجّة الكوى الشيخ مرتضى الأنصاري في رسالته "سرور العباد"، والفقيه المتبحّر الشيخ زين العابدين الحائري

في "ذخوة المعاد"، والعالم الناسك المتورّع الشيخ خضر شلال في كتابه "أبواب الجنان"، وحجّة الإسلام الميرزا حسين النائيني في أجوبته لأهل البصوة، وجميع علمائنا

المعاصرين"[1].

وقد جاءت "أنّ" في عبارته بدون خبر كما سمعت.

أمّا نسبة ذلك إلى شيخ الطائفة في "كشف الغطاء" فنسبة باطلة، فإنّه لم يذكر جوح الرؤوس، وظاهره الاستشكال في غوه، بل في مطلق الشبيه.

وأمّا نسبة ذلك إلى الميرزا القمّي في "جامع الشتات" فنسبة باطلة أيضاً، فإن الذي في الكتاب المذكور في باب المتوفات مخصوص بالتشبيه بصورة الإمام (عليه السلام) وأعداء أهل البيت، ولبس الوجال لباس نساء أهل البيت أو غوهن، وليس فيه ذكر جوح الرؤوس ودقّ الطبول وضوب الطوس ونفخ البوقات.

هذا ما أردنا إثباته في هذه العجالة، والله ولي التوفيق، وله الحمدُ والمنّة.

وتمّ تسويدها بمدينة بيروت في الثامن عشر من المحرّم سنة 1346 هـ على يد مؤلّفها الفقير إلى عفو ربّه الغني محسن الأمين الحسيني العاملي، غفر الله له ولوالديه، والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمدّ وآله وسلّم.

1 ـ الصفحة: 82.

الفصل الثالث

مناقشة الإشكالات الواردة في الرّسالة

الإشكال الأوّل

وتعرّض لها السيّد محسن الأمين في موضعين من رسالته:

الموضع الأوّل:

قال رحمه الله:

"ولمّا رأى إبليس وأعوانه ما فيها . أي الشعائر الحسينيّة . من المنافع والفوائد، وأنّه لا يمكنهم إبطالها بجميع ما عندهم من الحِيل والمكائد، توسّلوا إلى إغواء الناس بحملهم على أن يدُخلو فيها البدع والمنكرات وما يشينها عند الأغيار; قصدا لإفساد منافعها وإبطال ثوابها، فأدخلوا فيها أُموراً أجمع المسلمون على تحريم أكثرها وأنهّا من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هددّ الله فاعلها وذمّه في كتابه العزيز.

فمنها: الكذب بذكر الأُمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب، وهي تتُلى على المنابر وفي المحافل بكرةً وعشياًّ ولا من منكر ولا رادع، وسنذكر طرفا مّن ذلك في كلماتنا الآتية إن شاء الله، وهو من الكبائر بالاتفاق لا سيّما إذا كان كذباً على الله أو رسوله أو أحد الأئمة (عليهم السلام)"[1].

ونحنُ نسلّط الضوء على هذا الكلام في عدةّ نقاط:

الأُولى:

إنّا لا ننُكر أنّ الكثير من خطباء المنبر الحسيني يَنقلون أقوالا وأحاديث عن المشركين في واقعة الطف . سواء كانوا في معسكر الإمام الحسين (عليه السلام) أم معسكر عمر بن سعد . يُمكن الطعن فيها سنداً ومتناً، ولا يمكن أن تصمد أمام النقد العلمي الذي يعتمد على القواعد المقرّرة في علم الرواية.

---

1 ـ رسالة التنزيه: 41 ـ 42.

وكذلك يذكرون وقائع تأريخيّة تفتقد إلى أبسط مراتب التوثيق التأريخي.

وقد حاول بعض علمائنا الأبرار الوقوف أمام هذه الظاهرة التي تُشوهّ واقعة الطف المأساوية، وذلك عبر إبداء النصائح والإرشادات للخطباء بالتأكّد من نقلهم للأحاديث والوقائع، وعدم التطرق للامُور المشكوك في صحتهّا.

وأكتفي هنا بنقل عبارة المحدّث الميرزا حسين النوري (ت 1320 هـ) في كتابه "اللؤلؤ والمرجان" الذي ألّفه خصيصاً لهذا الموضوع، حيث قال ما ترجمته:

"لا يخفى عليك أنّ بعضاً من قرّاء التعزية والذاكرين الذين جعلوا هذه العبادة مكسباً وحرفة لهم، وليسوا من أهل الخبرة في فنّ الحديث، ولا من أهل البصيرة في تنقيد الأحاديث، فينقلون على المنابر كلّ ما وجدوه في كتاب من دون أن يميزّوا صحيحه

من سقيمه، أو في المجاميع الغير معتنية المؤلّفة من بعض المتسامحين في النقل وإن لم يحرزوا عدالة مؤلّفها، بل وإن لم يعرفوه أصلا، بل إذا سألته عن مأخذ نقله ربّما أجابك بأنّه وجده في مقتل منسوب إلى عالم من علماء البحرين أو القطيف، وربمّا لايكون لذلك المقتل عين ولا أثر ولا سبيل إلى التفحّص عنه، وربمّا أحالك إلى المقتل الفلاني، فإذا وجدته وتفحصته لم تجد فيه ما نقله، أو رأيت فيه زيادة أو نقيصة عمّا نقله"[1].

الثانية:

يكون الخطيب كاذباً عند قراءته لحديث لا وجود له أساساً، ولم ترد رواية به ولو مرسلة، ولم يره في كتاب معُتبر، بل قام الخطيب بصياغة ألفاظه وتزوير معناه.

ويكون ناقلا للكذب عند قراءته لحديث وضعه غيره، مع علمه بذلك.

1 ـ حكاه عنه الشيخ محمّد الگنجي في رسالته "كشف التمويه": 23.

ولا أتصوّر أنّ أحداً من خطبائنا ـ حتىّ المبتدئين أو القليلي الورع ـ ينطبق عليه معنى الكذب أو نقل الكذب; لأنهمّ ينقلون الأحاديث والوقائع إمّا من كتب يعتبرونها معتمدة عندهم، أو سمعوها من أشخاص يثقون بورعهم وأمانتهم كالخطباء الذين سبقوهم في ارتقاء المنبر الحسيني.

ولعلّ هذا هو السبب الرئيسي من عدم اتهّام الخطباء بالكذب أو نقلهم للكذب من قبل علمائنا الذين تتلُى عليهم هذه الأحاديث في كثير من المجالس الحسينيّة.

الثالثة:

إنّ واقعة الطف المأساوية، وما تقدمّها وتلاها من أحداث، وما يتعلقّ بها من الامورُ التي يتعوضّ لها قراء التعزية، لم تتضمّن مسائل إلزامية يترتبّ عليها حكم شرعي من وجوب أو حرمة حتىّ يجب النظر في أصلها وسندها، بل هي قصص ومواعظ وفضائل ومصائب، أي أنّها من سنخ الرُخص التي تشملها قاعدة التسامح في أدلةّ السنن.

ومعلوم أنّ ما لا يترتب عليه حكم شرعي لا ينبغي النظر في سنده إذا كان ممّا لا تنفيه فطرة العقول، وكان الضرر فيه مأموناً على تقدير كذبه في نفس الأمر.

وقد تعرّض الكثير من علمائنا رضوان الله تعالى عليهم إلى هذه المسألة بشكل مفصل، كالشيخ أحمد بن فهد الحليّ (ت 841 هـ) في "عدّة الداعي"[1]، والشهيد الأوّل محمدّ بن مكي الجزيني (المستشهد سنة 786هـ) في باب التلقين من أحكام الميّت في كتابه "الذكرى"[2]، والشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي

1 ـ عدّة الداعي: 13.

2 . الذكرى 2: 34.

(المستشهد سنة 965 هـ) في كتابه "الوراية"[1]، والشيخ البهائي محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني (ت 1031 هـ) في كتابه "الأربعين"[2]، والسيّد محمّد الطباطبائي المجاهد (ت 1242هـ) في كتابه "مفاتيح الأُصول"[3].

ونحنُ نكتفي هنا بنقل ثلاث عبارات سلّطت الضوء على هذا الموضوع بشكل جيدّ:

(1) قال الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي العاملي في رسالته "الوراية":

"جوّز الأكثر العمل بالخبر الضعيف في نحو القصص والمواعظ وفضائل الأعمال، لا في صفات الله وأحكام الحلال والحرام، وهو حسن حيث لم يبلغ الضعيف حدّ الوضع والاختلاق"[4].

(2) قال الشيخ مرتضى الأنصاري (ت 1281 هـ) في رسالته "التسامح في أدلّة السنن" معلقّاً على كلام الشهيد الثاني في "الوراية" الذي ذكرناه قبل قليل:

"المراد بالخبر الضعيف في القصص والمواعظ هو نقلها واستماعها وضبطها في القلب وترتيب الآثار عليها، عدا ما يتعلّق بالواجب والحرام.

والحاصل: أنّ العمل بكلّ شيء على حسب ذلك الشيء، وهذا أمر وجداني لا ينكر، ويدخل حكاية فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ومصائبهم، ويدخل في العمل الإخبار بوقوعها من دون نسبة إلى الحكاية على حدّ الإخبار بالأُمور الواردة بالطرق المعتبرة،

---

1 ـ الدراية: 29.

2 . الأربعين: 195 الحديث 31.

3 . مفاتيح الأُصول: 346.

4 . الوراية: 29.

بأن يقال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يصلّي كذا ويبكي كذا، وتزل على مولانا سيدّ الشهداء (عليه السلام) كذا وكذا.

ولا يجوز ذلك في الأخبار الكاذبة وإن كان يجوز حكايتها، فإنّ حكاية الخبر الكاذب ليس كذباً، مع أنهّ لايبعد عدم الجواز إلا مع بيان كونها كاذبة.

ثمّ إنّ الدليل على جواز ما ذكرنا من طريق العقل: حسُن العمل بهذه مع أمن المضرة فيها على تقدير الكذب. وأما مّن طريق النقل: فرواية ابن طاووس (رضي الله عنه)، والنوويّ، مضافاً إلى إجماع "الذكرى" المعتضد بحكاية ذلك عن الأكثر"[1].

ومقصوده برواية ابن طاووس: هي رواية السيّد رضي الدين أبي القاسم علي ابن موسى بن جعفر بن طاووس (ت 664هـ) في كتابه "إقبال الأعمال" في ما يختصّ بشهر رجب، حيث روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنهّ قال: "مَن بلغه شيء من الخير فعمل به، كان ذلك له وإن لم يكن الأمر كما بلغه"[2].

ومقصوده بالنبويّ: ما رواه علماء إخواننا أبناء العامّة عن عبد الرحمن الحلواني، رفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "مَن بلغه من الله فضيلة فأخذ بها وعمل بها إيماناً بالله ورجاء ثوابه، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك"[3].

ومقصوده بإجماع "الذكرى": قول الشهيد الأوّل فيها: "أخبار الفضائل يتسامح بها عند أهل العلم"[4].

---

1 ـ التسامح في أدلّة السنن: 158.

2 . إقبال الأعمال: 277.

3 . انظر تأريخ بغداد 8: 296.

4 . الذكرى 2: 34.

(3) أجاب الشيخ زين العابدين المازندراني الحائري (ت 1309 هـ) في "ذخيرة المعاد" عن سؤال ورد حول هذا الموضوع بشكل مفصّل وواضح، ونحن نذكر ترجمة السؤال والجواب:

"السؤال: هل يجوز في الفضائل والمصائب القراءة بلسان الحال ومقتضى شاهد الحال أم لا؟

وعلى تقدير الجواز هل يجب الإشعار والإعلام بذلك، أم لا؟

وإذا نقل أحدٌ حكايات الفضائل من كتاب غير معتبر أو من لسان بعض القرّاء هل يجوز ذلك أم لا؟

وهل على القارىء إسناده أم لا؟

الجواب: ذكرُ المصائب بلسان الحال جائز إذا كان مناسباً للإمام (عليه السلام)، ولابدّ من الإشعار والإعلام بكونه لسان الحال. وإذا نقل من كتاب معتبر أو غير معتبر لابدّ من الإسناد إلى الناقل، ولا حاجة إلى تعيين الكتاب المنقول منه"[1].

الرابعة: إضافةً إلى ما ذكرناه في النقطة السابقة، فإنّ أكثر أحداث واقعة الطف لم تصل إلينا بشكل مسُند، بل وصلت إلينا بواسطة عدّة أحاديث مرسلة، حتّى تلك التي وصلتنا بواسطة الشيخ المفيد (ت 413 هـ) والسيّد ابن طاووس (ت 664هـ)[2].

---

1 ـ حكاه الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في رسالته "النقد النزيه":13 عن "ذخيرة المعاد".

2 . على سبيل المثال فقد تتبّعت "الملهوف" للسيّد ابن طاووس فوجدته ينقل أحاديثه كمراسيل بعبارة "قال رواة الحديث" في الصفحة 92 . وبعبارة "روي" في الصفحات: 126، 152، 158 . وبعبارة "قال الراوي" في الصفحات: 124، 134، 135، 137، 140، 145، 148، 150، 151، 154، 155.

فإنّ الكثير من أحداث واقعة الطف تنُقل عن شخص لم يحضر الواقعة وهو أبي مخِنفْ لوط بن يحيى الأزدي (ت 185هـ) صاحب المقتل المعروف. وهو وغيره من أصحاب المقاتل إنّما يعتمدون في نقلهم على هلال بن نافع وحميد بن مسلم وهلال

بن معاوية، الذين شهدوا واقعة الطف وكانوا مع جيش عمر بن سعد.

ولستُ الآن في معرض توثيق هذه الأخبار أو ردّها، بل الذي لرُيد أن أقوله: إن ّخطباء المنبر الحسيني يعتمدون في كلامهم على أحاديث ووقائع يجدونها في مجموعة من الكتب المتداولة في أيدي أصحاب هذا الفنّ، أو على أحاديث ووقائع أُخرى سمعوها من أساتذتهم الذين سبقوهم في هذا المجال، وحكم جميع هذه الأحداث والوقائع حكم المراسيل المنقولة عن أبي مخنف وهلال بن نافع وغيرهما.

إذاً فهم لا يكذبون،ولا ينقلون أحاديث ووقائع مكذوبة وإن كان بعضها لا أساس لها، ولو كانوا يعلمون بكذبها لما نقلوها أبداً.

وهذا لا يعني بأنّ الخطيب يسوغ له النقل من كافةّ كتب المقاتل والمصائب دون التأكدّ من صحةّ محتواها، بل يجب عليه تتبّع الأخبار والوقائع وانتقاء الصحيح منها.

وإن لم يكن باستطاعته فعل ذلك، فالحدّ الأدنى الذي يجوز له هو الأخذ من كتب علمائنا الثقات كالشيخ المفيد، والسيدّ المرتضى، والشيخ الطوسي، والسيّد ابن طاووس، وغيرهم من العلماء الذين ألفّوا في المناقب وتأريخ أهل البيت (عليهم السلام).

وننقل هنا عدّة أبيات شعريّة للشيخ هادي كاشف الغطاء (ت 1361 هـ) وجّهها لخطباء المنبر الحسينيّ، حيث قال:

إِيّاكَ مَن نَقلَ حْدِيثَ أَو خبرْ ... لَمْ يرُوْ في متنَ كْتاب ِمعتبرُ

وإِنْ علمتِْ الأمر فانقل مْاورُدْ ... وَلوَ ْبغيرَ لفظه وَْلا تزد

أَفصْحِ وْجَءِ بأحسنَ ْالأصواتَ ... وَقفِ ْعلىَ أواخَر ِالأبياتَ

وَكيفَ شئتِ إقرأ لإرواك المنى ... إنْ لمْ يصلِ ذاكَ إلى حدِ الغنا

قامَ على تحريمه الإجماعْ ... وحيثُ يُعصَى الله لا يُطاعُ

واحْذرْ من التحريف والألحان ... وخُذْ من العلف باللِسان

واقرأ من النحوَ ومن علمْ الأدبْ ... شيئاً به تعرف أقوال العربَ

تَرْوي به إن قلتَ ما تقولُ ... وما هُو المردودُ والمقبولُ

وأقبحَ العيوب في اللسان ... عندَ الأديب وصمة الألحان

تنشأ منهُ سيئات جمة ... كذبٌ وتحريف مقال عجمة[1]

الموضع الثاني:

قال السيّد الأمين في ردّه على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي:

"وغالبهم ـ أي خُطباء المنبر الحسينيّ ـ عوام، يخلطون الحابل بالنابل، ولا ننكر أنّ فيهم الفضلاء الكاملين الذين يفتُخر بأمثالهم، وقليل ما هم، ولكن الكثير منهم ليسوا كذلك كما هو مُشاهد بالعيان، ويجهل أو يتجاهل قراءتهم حديث: "أين ضلّت راحلتك يا حسّان" الذي اختلقه بعض آل قفطان على سطح مسجد الكوفة، كما هو مشهور عند فضلاء النجف وغيرهم.

أو حديث: "خرجت أتفقّد هذه التلاع مخافة أن تكون مظناً لهجوم الخيل على مخيمنا يوم يحملون وتحملون"، والا فليدلنا في أيّ كتاب هذا الحديث؟ وأيّ رواية جاءت به ضعيفة أو صحيحة؟

أم حديث: "إنّ الورد لا يزال الجبل الأصم، ولفحة الهجير لا تُجففّ البحر

1 ـ حكاها الشيخ محمد الگنجي في رسالته "كشف التمويه": 29 ـ 30.

الخضم".

أم حديث قول شمر للحسين (عليه السلام): "بعدك حيّاً يابن الخارجي".

أم حديث: "أي جُرح تشدّه لك زينب".

أم حديث مخاطبة زينب للعباس حين عوض شمر عليه وعلى إخوته الأمان.

أم حديث مجيء زين العابدين لدفن أبيه مع بني أسد.

أم حديث درّة الصدف التي حاربت مع الحسين (عليه السلام).

أم حديث مجيء الطيور التي تمرّغت بدم الحسين (عليه السلام) إلى المدينة، ومعرفة فاطمة الصغرى بقتل أبيها من تلك الطيور"[1] والنظر في هذا الكلام في عدّة نقاط:

الأُولى:

أكثر الموارد التي ذكرها السيّد الأمين وجعلها مصداقاً لكذب الخطباء; لعدم وجودها في المصادر، موجودة في كتب معتبرة عندنا، وبعضها مذكور كمواسيل في كتب المقاتل سمعها مؤلّفو المقاتل من مشايخهم الذين يثقون بهم، وموردان منها فقط لم أعثر عليهما في المصادر، وسألت الكثير من الخطباء عنهما فلم يعرفانهما، وسيأتي تفصيل ذلك قريباً.

الثانية:

يذكر السيّد الأمين في كتابه "المجالس السنية" . الذي ألفّه لتهذيب أخبار واقعة الطف . الكثير من الأحاديث المرسلة المساوية من حيث السند للأحاديث التي ذكرها في رسالته "التنزيه" والتي استنكر على الخطباء قراءتها:

كقوله في ج2 ص 47 : إنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) شاهد شمر بن ذي الجوشن يفري بسيفه وريدي الحسين (عليه السلام) حتّى فصل رأسه المكرّم عن جسده.

---

1 ـ رسالة التنزية: 55 ـ 56.

وقوله في ج3 ص 6 وج4 ص 3 : إنّ الرباب أخذت رأس الحسين (عليه السلام) ووضعته في حجرها وقبلته وقالت:

واحسيناً فلا عدمت حسيناً أقصدته أسنّة الأعداء

والغريب في الأمر أنّه . السيّد الأمين . يستنكر قراءة الخطباء فقرة من حديث مسلم الجصاص وهو: "أن زينب (عليها السلام) نطحت جبينها بمقدّم المحمل". ويذكر هو في كتابه "المجالس السنية" ج2 ص 47 فقرة أُخرى منه وهي: "كانت لحيته المباركة مخضوبة بالوسمة كأنّها سواد السبج".

الثالثة:

ينسب السيّد الأمين لبعض آل قفطان وضعه لحديث: "أينَ ضلتّ راحلتك يا حسان".

والمقصود بـ "بعض آل قفطان" هو الشيخ حسن قفطان (ت 1287هـ)[1] .

وإنّي رغم تتبّعي لكثير من الكتب لم أعثر على هذا الحديث، ولم أجد منَ ينسبه للشيخ حسن قفطان سوى السيد الأمين (رحمه الله).

علماً بأنّه . أي السيد الأمين . في كتابه "أعيان الشيعة" يتردد في الحديث الذي وضعه بعض آل قفطان على سطح مسجد الكوفة هل هو حديث "أين ضلّت راحلتك يا حسان" أو حديث مكالمة العباس (عليه السلام) مع حبيب بن مظاهر الأسدي ليلة العاشر من محرم [2] .

وقد تتبّعتُ ترجمة الشيخ حسن قفطان فلم أجد من يغمز فيه أو يشك في

1 ـ انظر النقد النزيه: 21.

2 . أعيان الشيعة 5:199.

وثاقته، نعم الذي يُؤخذ عليه أنّ له كتابا في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) فيه مراسيل غريبة أخذها من مشايخ أهل الكوفة.

ونقدّم هنا ترجمة مختصرة له، نبيّن فيها أقوال علمائنا فيه [1] .

الشيخ حسن قفطان:

هو الشيخ حسن ابن الشيخ علي بن نجم بن عبد الحسين السعدي الرباحي الدجيلي، الشهير بـ"قفطان".

والسعدي، نسبة إلى بني سعد: وهي عشيرة عربيّة يرجع نسبها إلى بني تميم.

والرباحي، نسبة إلى آل رباح: فخذ من بني سعد.

والدجيلي، نسبة إلى مدينة الدجيل الواقعة بين سامراء وبغداد.

ولد الشيخ حسن في النجف الأشرف حدود سنة 1200 هـ . وقيل غير ذلك . ودرس الفقه أوّلا عند الشيخ علي كاشف الغطاء (ت 1253 هـ)، والأُصول عند الميرزا أبي القاسم القمّي (ت 1231 هـ) صاحب "القوانين"، ثمّ حضر درس الشيخ محمّد حسن النجفي (ت 1266 هـ) صاحب "الجواهر" حتّى أصبح من أخصّ تلامذته وأفاضلهم وأقربهم إليه.

"اتّخذ المؤرّخ الوراقة مهنة له، وورث ذلك عنه أبناؤه وأحفاده، إلا أنّه كان يمتاز عنهم بإتقان اللغة والبراعة فيها، وهذا ما حدى بأُستاذه صاحب "الجواهر" أن يُحيل إليه والِي ولده تصحيح "الجواهر" وبراقته حتّى قيل: إنه لولاهما لما خرجت

1 ـ انظر ترجمته في: معارف الرجال 1:219 ، أعيان الشيعة 5:198 ، طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة): 339.

"الجواهر"; لأنّ خطّ المؤلف كان رديئا، وقد كتبا النسخة الاولى عن خط المؤلف ثم صارا يحترفان بكتابتها وبيعها على العلماء وطلاّب العلم، وأكثر النُسخ المخطوطة بخطهما، وهذا دليل على أنّ المترجَم كان يعرف ما يكتب وكان جيد الخط والضبط" [1] .

وله عدّة مؤلّفات منها: "طب القاموس"، "أمثال القاموس"، "رسالة الأضداد"، "رسالة المثلثات"، "رسالة في الأفعال اللازمة

والمتعدّية"، "تعليقات على المصباح المنير"، كتب ورسائل في الفقه، أشعار كثيرة، كتاب في مقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

وقد مدحه وأطراه ووثّقه كلّ من ذكره وترجمَ له، منهم:

(1) المحدّث الميرزا حسين النوري (ت 1320 هـ)، قال عنه: "العالم العليم، والفقيه الحكيم، المقتدى المؤتمن الشيخ حسن"[2].

(2) السيّد حسن الصدر (ت 1354 هـ) قال عنه: "كان من مقدّمي فقهاء الطائفة، مشاركاً في العلوم، فقيها أصُوليا، حكيما إلهيّاً. وكذلك له التقدّم والبروز في الأدب وسبك القريض، وله شعر من الطبقة العليا"[3].

(3) الشيخ محمّد حرز الدين (ت 1356هـ) قال عنه: "عالم محقّق جليل ضابط، أديب شاعر"[4].

---

1 ـ انظر طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة): 339.

2 . حكاه عنه الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في رسالته "النقد الوجيه": 17.

3 . حكاه عنه الشيخ الطهراني في طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة): 339.

4 . معارف الرجال 1: 219.

(4) السيّد محسن الأمين (ت 1371 هـ) قال عنه: "في "الطليعة": كان فاضلا شاعراً تقياً ناسكا محبا للأئمة الطاهرين، وأكثر شعره فيهم، وله مطارحات مع أدباء زمانه وتواريخ في أغلب الوقائع وتقاريظ.

وفي مجموعة الشبيبي: كان أديباً شاعراً، أصبح من مشاهير الفقهاء الادبُاء.

وعن مجموعة الشبيبي أيضاً . كما في مجلّة الحضارة . أنّه قال في حقّه: فقيه لغوي... وكان أديبا صحيح الطبع وسليم الذوق"[1].

(5) الشيخ الطهراني (ت 1389 هـ) قال عنه: "أحد مشاهير وأعلام عصره في العلم والأدب"[2].

وبعد كلّ هذه الترجمة التي ذكرناها له والتوثيقات التي صدرت بحقّه من كبار الأعلام، فهل يمكن الشكّ في وثاقته، أو احتمال وضعه لأحاديث تتعلّق بواقعة الطف لا وجود لها أساساً؟!

أمّا الأحاديث والوقائع الغريبة التي ذكرها في كتابه "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) " فقد حكاها عن مشايخه الكوفيّين الثقات، والذين يروونها هم أيضاً عن مشايخهم الثقات، وحكم هذه الأحاديث والوقائع حكم المراسيل التي تذُكر في كثير من المقاتل.

الرابعة:

الأحاديث التي وصفها السيّد الأمين بالوضع، واستنكر على الخطباء قراءتها، حيث قال بعد ذكر أحدها: "وإلاّ فليدلنا في أي كتاب هذا الحديث؟! وأيّ رواية جاءت به ضعيفة كانت أو صحيحة؟!".

1 ـ أعيان الشيعة 5: 199.

2 . طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة): 339.

هذه الأحاديث أوردها الشيخ محمّد باقر بن عبد الكريم الدهدشتي البهبهاني النجفي (ت 1285 هـ) في كتابه "الدمعة الساكبة" حيث قال فيه: "عثرتُ على أشياء أرسلها بعض معاصرينا في مؤلّفاتهم فأحببت ذكرها هنا وإن لم أقف عليها في الكتب".

وعلّق الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت 1375 هـ) على هذه العبارة في رسالته "النقد النزيه" حيث قال: "وهذا المعاصر هو العالم العامل الشيخ حسن الملقّب بابن قفطان"[1].

مع العلم بأنّ الشيخ البهبهاني ذكر في مقدّمة كتابه المصادر التي اعتمد عليها في التأليف حيث قال: "إنّ أكثر الكتب التي اعتمدنا عليها في النقل مشهورة معلومة الانتساب إلى مؤلّفيها"[2].

وقال في مكان آخر منه مبيّناً منهجه في التأليف.

"اقتصرتُ في هذا الكتاب على متون الأخبار، وعدلتُ عن الإطالة والإكثار، وحذفت أسانيد بعضها; لشهرتها، وصححّت رواتها وطرقها بالكتب المتنوّعة منها; لتخرج بذلك عن حدّ المراسيل وتلحق بالمسندات"[3].

وقد طعن الشيخ محمّد الكنجي . في رسالته "كشف التمويه" التي دافع فيها عن السيّد الأمين . في كتاب "الدمعة الساكبة" حيث قال:

"إنّ السيّد . أي الأمين . يريد من الكتب التي هي للقدماء، لا من كان في هذا

1 ـ النقد النزيه: 20.

2 . الدمعة الساكبة 1:43.

3 . الدمعة الساكبة 1: 48.

العصر أو عصر قبله، اللهمّ إلاّ إذا نقلوا عن القدماء وهو المطلوب، وإن نقلوا عن المعاصرين بغير مستند فغير مفيد.

وهذا الخبر ذكره صاحب "الدمعة الساكبة" إلاّ أنّه قال قبله: "عثرت على أشياء أرسلها بعض معاصرينا في مؤلفاتهم فأحببتُ ذكرها هنا وإن لم أقف عليها في الكتب المعتبرة" فصاحب "الدمعة الساكبة" نقلها عن بعض معاصريه ولم يطلّع عليها في الكتب، وليست هي موجودة في غير كتابه ممّا بين أيدينا.

ولا يحتجّ على السيّد بأنّ هذا المؤلفّ ذكرها، وهو مثله غير قديم، وكل منّهما ينقل عن كتب القدماء، وصاحب "الدمعة" نفسه بالكلام المتقدّم يطعن بهذا الخبر"[1].

وقد طُبع هذا الكتاب "الدمعة الساكبة" كاملا في بيروت سنة 1408 هـ في ثمانية أجزاء، وفي مقدّمته مجموعة من التقاريظ للمؤلّف وكتابه، كتبها عدد من أعلام الطائفة الحقّة ومراجع تقليدها، تدلّ على وثاقة المؤلفّ وصحة الكتاب، ونحن نورد هنا

مقاطع من هذه التقاريظ ليقف عليها القارئ:

(1) قال العالم الفاضل الشيخ جعفر ابن الشيخ محسن الأعسم (ت 1287هـ):

"جاءت الألطاف الربانيّة والنفحات الروحانية بالعلم العلامّة الملا باقر الدهدشتي النجفي، فجمع وكتب هذا السفر العظيم المحيي للدين، والمحكم لشريعة سيّد المرسلين، والمبيّن بأوضح التبيين إمامة الأئمة الميامين.

فياله من كتاب حَسنت أساليبه وعمّت شعائبه، إذا وقف عليه أرباب السيّر في المعارف يقفون منه على موارد لم يكونوا وردوها، وعلى كشف من حقائق لم يكونوا أوصلوها، وإذا وقف عليه الضّال عن الهدى والرشاد هدي إلى الصراط المستقيم

1 ـ كشف التمويه: 22.

والسداد.

فهي النور الجالي للغياهب، والواقع لعمي العائمين في ضلال السباسب، فلا عذر لمخالف بعد الوقوف على أبوابه وفصوله وتحقيقات فروعه وأُصوله. فهو الموقظ للجاهل من رقدته، والمنبّه للغافل عن غفلته، والحسام القاطع للمعاند، والصاعقة المحرقة للجاحد.

ولعمري إنّي أراه أنّه آية الآيات وحجة المعجزات الباهرة، تقصر الألسن عن تأدية مدح بارئه، وتقف الأقلام عن إنهاء فضل دقائق خافيه، فحقيق فيه التمثيل بقول القائل:

تجاوز قدر المدح حتّى كأنّه أحسن ما يثني عليه يعاب[1]

(2) قال العالم الجليل الشيخ مهدي كاشف الغطاء (ت 1289هـ):

"فإنّي طالما طالعت هذا المؤلّف الشريف، المستغني عن التعريف والتوصيف، الذي قد ألفّه الحبر البصير الماهر، وكوكب هداية الزاهر، جناب الحاج ملاّ محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني النجفي عامله الله بلطفه الخفي، فرأيت أنّه لم يورد فيه إلا الأخبار المشهورة المتواترة من كتب الأخبار التي جمعها العلماء الأبرار، المعلوم أخذها عن الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم ما غسق ليل وأضاء نهار، مع ضيق حاله وقلّة مجاله واشتغال باله. فنسأل الله أن ينفعه به في الدارين، ويحبوه بسببه بما تقرّ به العين، إنّه على ذلك لقدير وبالإجابة جدير"[2].

(3) قال الفقيه الكبير الشيخ راضي النجفي (ت 1290هـ):

1 ـ الدمعة الساكبة 1: 16 ـ 17.

2 . الدمعة الساكبة 1:13 . 14.

"فإنّي لما سوحتُ نظري في هذا الكتاب الباهر، وأجليتُ طرفي في نوره الشعشعاني الزاهر، وجدته حري بأن يكون تبصرة للناظرين، وجلاء لعيون المتدبّرين، وعماداً يلجأ إليه أهل الدين من العلماء والمتعلمّين.

فإنّه قد جمع فيه من الأحاديث التي هي محلّ للاعتماد، ومنهج واضح إلى الرشاد، وسبيل لنهاية السداد. فيه جلاء للصدور، وكشف عن غوامض الأُمور. فحقّ له أن يكتب بالنور على جبهات الحور، قد جمع فيه ما لم تجمعه آحاد كتب الأواخر والأوائل من الأحكام والمعاجز والدلائل، وكان حقيقاً بأن يتمثّل بقول القائل:

وإنّي وإن كنتُ الأخير زمانهم لآتي بما لم تستطعه الأوائل

فهنيئاً لمؤلفّه الحبر الباهر والقمر الزاهر، جناب الملا محمدّ باقر البهبهاني النجفي"[1].

(4) قال العلاّمة الكبير السيدّ علي بحر العلوم (ت 1298هـ):

"فقد نظرتُ في تضاعيف هذا المؤلفَّ الشريف، الغني عن التوصيف والتعريف; لظهور مزاياه بأدنى نظر، وبدو نكات محاسنه بأقل فكر، المسمّى بـ "الدمعة الساكبة في المصيبة الراتبة" الذي ألفّه الحبر البصير الماهر، وكوكب الهداية المنير الزاهر، ذو الفضل الواضح الباهر، والعلم الناشر المتقاطر، المؤيّد المسددّ الفاخر، الحاج ملا محمدّ باقر البهبهاني الغروي عامله الله بلطفه الخفي والجَلي.

ورأيته حريّاً أن يكُتب بالنور على وجنات الحور، لا بالحبر على صفحات التبر; إذ أورد فيه أخبارا مَن الكتب المعتبرة المتداولة لدى الأصحاب، عليه رضوان من الله مع التحيّات، وأودع فيه تفاصيل أحاديث لم يودعها غيره ممنّ هو ماض أو هو آت.

1 ـ الدمعة الساكبة 1:13.

فمن حضره هذه المجلّدات استغنى بها عن الكتب المتفرقّات، بل يجد به مالا يجده من تلك المطولات. شكر الله مساعيه، حيث بذل جدّه وأعطى غاية جهده في جمعها وتأليفها، مع عسر حاله وضيق مجاله، وما هو إلاّ بتأييد من خالقه وفضل منه يؤتيه من يشاء من خلقه. ويحقّ له على الإخوان أن يساعدوه على بثّ ما كتب، ونشر ما جمعه بحسب ما يحق ويجب، أعانهم الله لكلّ خير، فإنّ نشره من أفضل القربات وإذاعته من أكمل المثوبات"[1].

(5) قال الزاهد الورع الشيخ نوح النجفي (ت 1300هـ):

"اهتمّ أهل الدين والعلماء في ضبط ما ورد عنهم (عليهم السلام) وجعلوه زبراً وكتباً، وكان من جملة من اقتدى بهم واتبعّ أثرهم جناب العالم الخبير والناقد البصير، وحيد العصر وفريد الدهر، الحبر الربّاني والعالم الصمداني، الحاج الملاّ محمدّ باقر

البهبهاني. فكتب كتاباً سماه بـ"الدمعة الساكبة في المصيبة الواتبة" وهو كتاب مشتمل على ما يشفي العليل ويروي الغليل، ما تقصر عنه كتب المتقدّمين مجتمعاً من كتب مشهورة وصحاح ونصوص مأثورة.

ولعمري فهو من خوارق العادات، بل من معجزات السادة الهداة. ولقد بذل جهده وتحمّل فوق وسعه وطاقته، جزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء"[2].

(6) قال العالم الربّاني الكبير الشيخ محمّد المعروف بالفاضل الايرواني (ت 1306هـ):

---

1 ـ الدمعة الساكبة 1:9.

2 . الدمعة الساكبة 1: 14.

"فإنّي لمّا طالعت المجلدات الخمسة المسميات بـ"الدمعة الساكبة في المصيبة الواتبة" التي ألفها المؤلف الخبير والمحدث البصير، وحيد عصره وعميد مصره، الحبر الربّاني والعالم الهمداني، الحاج ملا محمّد باقر النجفي الدهدشتي، وجدتها أخباراً جمعها من الصحاح المشهورة، والنصوص الصريحة المأثورة، والأحاديث المستفيضة المتواترة، من المصنّفات المعروفة لدى المحاورة.

ولقد بذل جهده في ترويج الشريعة الغرّاء، وجدّ جدّه لإعلاء الحق في السواء والضواء، وتحمل الشاقة فوق الوسع والطاقة، جزاه الله عن الإسلام خيراً، ووفّقه لخدمة طريقة آل الرسول، وتلقونه بالعز والقبول، وأعلاه يوم الأجر في عباده"[1].

(7) قال العالم الفاضل الشيخ محمّد حسين الكاظمي (ت 1308هـ):

"ومن جملة من وفّقهم الله تعالى لعمل هذا الخير، جناب الورع التقي الألمعي، صاحب الفهم الوافر والحلم المتكاثر الماهر، الفقيه المحدِّث العارف الخبير، الذي ليس له ثان، جناب ملاذنا ملا محمّد باقر الدهدشتي البهبهاني، أدام الله تعالى وجوده وأعلا سعوده، حيث تصدّى لتأليف كتاب لم يسمح الدهر بمثله لغيره، المسمّى بـ"الدمعة الساكبة في المصيبة الواتبة".

ولعمري لقد نظرتُ إليه نظر اعتبار، ونقدته نقد الصيرفي للدينار، فوجدته مشتملا على صحيح الأخبار عن الأئمّة الهداة الأطهار، بأُسلوب حسن لطيف، وترتيب متقن منيف، يليق أن يكتب بالنور على وجنات الحور.

فحقيق على مَن تمكّن من ترويجه وتكثيره أن يسعى بتمام جهده في تكثيره، فإنّ تكثيره من أفضل القربات; لما فيه عن الأئمّة الهداة. جزى الله عنّا المؤلفّ خير الجزاء

---

1 ـ الدمعة الساكبة 1:11.

حيث بذل الجدّ وأعطى غاية الجهد، مع العلم بعسر أحواله وضيق مجاله، نسأل الله تعالى أن ينفعه به في أُولاه وأُخراه، وأن يبلّغه ما يتمنّاه، بمحمدّ صلىّ الله عليه وآله الطيبينّ الطاهرين"[1].

(8) قال العالم الجليل الميرزا حبيب الله الغروي الجيلاني (من أعلام القرن الثالث عشر):

"ومن هنا قد بالغ العلماء السابقون قدّس الله أرواحهم، والمحدثّون الماضون طيبّ الله مرامسهم، في تصنيف كتب الفضائل والمصائب والمعجزات، وسائر ما يتعلّق بتلك الذوات عليهم صلوات الله الزاكيات الطيبّات.

ولكن لما كان الزمان غير مأمون، وجب . كالقرآن . حفظها وتشييد أركانها في تصنيف جديد وتأليف سديد; خوفاً من تطرّق أيادي الهوان، واستكثاراً في توضيح طرائق السلوك إلى الجنان، وسبل النجاة من النيران.

2 ومن أجل ذلك أقدم بعض صلحاء العصر وأتقياء الزمان وخدّام الشرع، أن يؤلفّ كتاباً جامعاً لمّا فيها وزيادة، ويأتي بما لم يأتِ به غيره من العائدة. فجهد وأجهد وأجاد وأفاد، وأتى بما فوق المراد، مع اشتغال باله وقلةّ ماله وكثرة عياله.

فصنّف كتاباً لم يسمح الزمان بمثله، وبخلت امهّات الأقدار عن توليد عدله. واشتملت على مزايا لا تجدها في زبر الأوائل، وعليه من نفسه وأسلوبه أقوى شواهد ودلائل، كما لا يخفى على مَن خاض زواجر بحاره، واطلّع على لطائف أسراره، وتطلعّ على عجائب أطواره، وأبرز حسان مضامينه عن خدره وأستاره.

---

1 ـ الدمعة الساكبة 1:12.

فيا لها من نعمة لمن شكر، وعبرة لمن اعتبر، وموعظة بالغة لمن تدبّر. جعله الله ذخيرة يوم حشره، ومنحه وإيّانا جزائل أجره، وهو المسمّى بـ"الدمعة الساكبة" فطوبى لمن سعى في ترويجه وكتبه ونسخه وطبعه" [1] .

وبعد كلّ هذه التقاريظ التي تقدّمت من قبل علمائنا، هل يمكن الشك ّفي وثاقة هذا العالم الجليل الشيخ محمدّ باقر الدهدشتي البهبهاني؟! وهل يُحتمل في حقّه نقله ِلأحاديث موضوعة؟! حتىّ تلك التي لا وجود لها في كتب اخرُى فإنه حّكاها عن مشايخه الثقات، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك.

والظاهر أنّ أصحاب التقاريظ تنبهّوا إلى إمكان الطعن في هذا الكتاب، لذلك أجابوا عليه مسبقاً. فانظر إلى قول العالم الجليل السيّد علي بحر العلوم: "فرأيت حرياً أن يكتب بالنور على وجنات الحور لا بالحبر على صفحات التبر; إذ أورد فيه أخباراً من الكتب المعتبرة المتداولة لدى الأصحاب، وأودع فيه تفاصيل أحاديث لم يودعها غيره ممنّ هو ماض أو هو آت".

وإلى قول الفاضل الإيرواني: "جمعها من الصحاح المشهورة، والنصوص الصريحة المأثورة، والأحاديث المستفيضة المتواترة من المصنّفات المعروفة لدى المحاورة".

وإلى قول العالم الكبير الشيخ محمّد حسين الكاظمي: "ولعمري لقد نظرتُ إليه نظر اعتبار، ونقدته نقد الصيرفي للدينار، فوجدته مشتملا على صحيح الأخبار عن الأئمة الهداة الأطهار".

الخامسة:

حديث "خرجتُ أتفقدّ هذه التلاع... إلى آخره" ذكره الشيخ محمدّ باقر

---

1 ـ الدمعة الساكبة 1:7 ـ 8.

البهبهاني في كتابه "الدمعة الساكبة" حيث قال:

"عن المفيد عليه الرحمة أنّه قال: لمّا نزل الحسين (عليه السلام) في كربلاء كان من أخصّ أصحابه به وأكثرهم ملازمة له هلال بن نافع، سيّما في مظانّ الاغتيال; لأنّه كان حازما بصيرا بالسياسة. فخرج الحسين (عليه السلام) ذات ليلة إلى خارج الخيم حتّى أبعد، فتقلّد هلال سيفه وأسرع في مشيه حتىّ لحقه، فرآه يختبر الثنايا والعقبات والأكمات المشرفة على المنزل، ثمّ التفت إلى خلفه فرآني فقال: "من الرجل هلال؟".

قلت: نعم، جعلني الله فداك، أزعجني خروجك ليلا إلى جهة معسكر هذا الطاغي.

فقال: "يا هلال خرجتُ أتفقد هذه التلاع مخافة أن تكون مظنّاً لهجوم الخيل على مخيمنا يوم تحملون ويحملون".

ثمّ رجع وهو قابض على يساره ويقول: "هي هي والله وعدٌ لا خلف فيه" [1].

ولم أعثر على هذا الحديث في "الإرشاد"، فلعلّه في غيره من كتب الشيخ المفيد، أو المقصود بالمفيد هو غير الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 412هـ).

السادسة:

حديث: "إنّ البرد لا يزايل الجبل الأصم... إلى آخره" ذكره الشيخ جعفر النقدي (ت 1370 هـ) في كتابه "الأنوار العلويّة" [2]، وجعله المحدّث الميرزا حسين النوري (ت 1320 هـ) في كتابه "اللؤلؤ والمرجان" من الأحاديث الموضوعة

1 ـ الدمعة الساكبة 4:372 ـ 373.

2 . حكاه عنه الشيخ محمّد الكنجي في "كشف التمويه":22.

حيث قال ما ترجمته:

"روى الذاكرون عن حبيب بن عمرو أنّه تشرّف بعيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ما جرحه اللعين عبد الرحمن بن ملجم على أمّ رأسه الشريف، والأشراف ورؤساء القبائل وشرطة الخميس حضور، وما منهم أحد إلا ودمع عينيه يترقرق على سوادها; حزناً على أمير المؤمنين (عليه السلام).

يقول: ورأيت أولاده مطرقين برؤوسهم، وما تنفّسَ منهم متنفسّ إلا وظننت أنّ شظايا قلبه تخرج من أنفاسه، فجمعوا الأطباء، وأمر أثير بن عمرو منهم برئة شاة ونفخ فيها وأدخلها في جرحه وأخرجها، فإذا هي ملطّخه بمخ رأسه، فسأله الحاضرون عن ذلك فخرس وتلجلج [1] لسانه، وفهموا منه ذلك فيئسوا من حياته وأطرقوا برؤوسهم يبكون عليه من غير صوت; حذراً من اطلّاع الحرم عليه، إلا الأصبغ بن نباته فإنه لم يطق دون أن شرق بعبرته [2] عالياً، ففتح عينيه (عليه السلام) وتكلّم بكلمات.

يقول حبيب: قلت: يا أبا الحسن لا يهولنّك ما ترى، وأنّ جرحك غير ضائر، فإنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصم، ولفحة الهجير لا تجفّف البحر الخضم، والصلّ يقوى إذا ارتعش، والليث يضوى إذا خدُش.

يقول: فأجابني (عليه السلام)، وسمعته أمّ كلثوم وبكت، فدعاها للحضور عنده فدخلت. ويظهر من هذا النقل أنّها حضرت والجماعة حضور. فقالت: أنت شمس الطالبيين وقمر الهاشميين، وساس كثيبها المتوصد وأرقم أجمتها المتفقد، عزّنا إذا شاهت

1 ـ التلجلج: التردّد في الكلام. الصحاح 1:337 "لجج".

2 . شرق بعبرته: أي غصّ بها. انظر الصحاح 4:1501 "شرق".

الوجوه ذلاّ، وجمعنا إذا قلّ الموكب الكثير قلا".

علماً بأنّ حضور الطبيب أثير بن عمرو بن هاني السكوني عند الإمام علي (عليه السلام)، ومخاطبة حبيب بن عمرو له (عليه السلام)، ورد في كثير من المصادر خالياً عن قوله: "إنّ البرد لا يزلزل الجبل الأصم... إلى آخره" فقد ذكره عاصم بن حميد في "أصله"[1]، وأبو الفرج الأصفهاني في "مقاتل الطالبيين"[2]، وحكاه العلاّمة المجلسي في "بحار الأنوار"[3] عن "أمالي الشيخ الصدوق"[4]، وحكاه عنهم الشيخ محمّد باقر البهبهاني في "الدمعة الساكبة"[5]، ونصّ الحديث هكذا:

عن حبيب بن عمرو قال: "دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) في مرضه الذي قبضُ فيه، فحلّ عن جراحته، فقلت: يا أمير المؤمنين ما جرحك هذا بشيء وما بك من بأس. فقال: "يا حبيب أنا والله مفارقكم الساعة"، قال: فبكيتُ عند ذلك، وبكت أُمّ كلثوم".

السابعة:

حديث قول شمر للحسين (عليه السلام): "بعدك حيّاً يابن الخارجي"، وحديث: "أيّ جرح تشدهّ لك زينب"، وحديث مخاطبة زينب للعباس (عليه السلام) حين عرض شمر بن ذي الجوشن عليه وعلى إخوته الأمان، لم أعثر عليها في أيّ مصدر رغم تتبّعي للكثير منها، وسألتُ بعض الخطباء عنها فلم يعرفوها، ويمكن أن يكون قد ذكرها

1 ـ أصل عاصم بن حميد: 33.

2 . مقاتل الطالبيين: 23.

3 . بحار الأنوار 42: 201 . 202.

4 . أمالي الصدوق: 192.

5 . الدمعة الساكبة 3: 125.

بعض الخطباء بعنوان "لسان الحال".

نعم، مسألة عرض شمر بن ذي الجوشن الأمان على العباس (عليه السلام) وإخوته . دون مخاطبة زينب له (عليه السلام) . موجودة في المصادر المعتوة، فقد ذكرها الشيخ المفيد في "الإرشاد" حيث قال:

"وجاء شمر حتّى وقف على أصحاب الحسين (عليه السلام) فقال: أين بنو اختنا؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو علي بن أبي طالب عليه وعليهم السّلام فقالوا: ما تريد؟

فقال: أنتم يا بني أُختي آمنون.

فقالت له الفتية: لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمّننا وابن رسول الله لا أمان له؟!"[1] .

وذكرها السيّد ابن طاووس في "الملهوف" حيث قال:

"وأقبل شمر بن ذي الجوشن لعنه الله فنادى: أين بنو أُختي عبد الله وجعفر والعباس وعثمان؟

فقال الحسين (عليه السلام): "أجيبوه وإن كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم".

فقالوا له: ما شأنك؟

فقال: يا بني أُختي أنتم آمنون، فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية.

فناداه العباس بن علي: تبّت يداك ولعن ما جئت به من أمانك، يا عدوّ الله أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء أولاد

1 ـ الإرشاد 2:89.

اللعناء، فرجع شمر إلى عسكره مغضباً"[1] .

الثامنة:

حديث درّة الصدف التي حرجت من أجل رأس الإمام الحسين (عليه السلام)، ورد في كتاب "سير أعلام النساء" نقلا عن كتاب "أسوار الشهادة" للربندي، ولم أعثر عليه في مصدر آخر، والظاهر عدم صحّته.

قال: عن "أسوار الشهادة" للربندي المجلس 28 الصفحة 498 ، وفي طبعة أُخرى الصفحة 504، عن أبي مخنف أنّه قال:

"لمّا جُرّد بالموصل ثلاثون سيفا تحالفوا على قتل خولي . لعنه الله . ومن معه، فبلغه ذلك فلم يدخل البلد، وأخذ على تل عفواء ثمّ على عين الوردة، وكتبوا إلى صاحب حلب أن تلقانا فإنّ معنا رأس الحسين الخارجي.

فلمّا وصل الكتاب إليه علم به عبد الله بن عمر الأنصاري، فعظم ذلك عليه وكثر بكاؤه وتجدّدت أحزانه; لأنّه كان في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) يحمل لهم الهدايا، وكان الحسن والحسين (عليهما السلام) لا يفارقانه على عهد رسول الله (صلى

الله عليه وآله).

فلمّا بلغه سمّ الحسن (عليه السلام) وموته مثّل في منزله قوا وجّلله بالحرير والديباج، وكان يندب الحسن ويرثيه ويبكي عليه صباحاً ومساءً.

فلمّا بلغه حينئذ قتل الحسين (عليه السلام) وحمل رأسه إلى يزيد ووصوله إلى حلب، دخل منزله وهو يرعد ويبكي، فلقيته ابنته درّة الصدف فقالت له: ما بك يا أبتاه، لا بكى بك الدهر ولا تزل بقومك القهر، أخبرني عن حالك؟

فقال لها: يا بنيّة إنّ أهل الشقاق والنفاق قتلوا حسينا وسبوا عياله، والقوم

---

1 ـ الملهوف: 148 ـ 150.

سائرون بهم إلى اللعين يزيد، وزاد نحيبه وبكاؤه وجعل يقول:

قَلَّ الغَزاء وُفاضتَ العينانْ ... وبُليتُ بالأزراءِ والأشَجانْ

قَتلوا الحسُين وَسبوا نَسْاءهِ ... حَوَمَ الرسولِ بسائر البلدانْ

مَنعَوهُ مُن ماء الفرات بكربلاءَ ... وَعدَتَ عْليهَ عِصابة الشيُطانَ

سَلبَوا العمامةَ والقميصَ ورأسه ... قَسوْا يعلّى فوقَ رْأسَ سنانِ

فقالت له ابنته: يا أبتاه لا خير في الحياة بعد قتل الهُداة، فو الله لأُخلّصنَ قَي خلاص الرأس والأسرى، وآخذ الرأس وأدفنه عندي في داري، وأفتخر به على أهل الأرض إن ساعدني الإمكان.

وخرجت درة الصدف وهي تنادي في أطراف حلب وأزقتها: قُتل يا ويلكم الإسلام، ثمّ دخلت منزلها ولبست درعا وتأزرّت بالسواد، وخرجت معها من بنات الأنصار وحِميْر سبعون فتاة بالدروع والمغافر، فتقدمّتهن فتاة يقال لها نائلة بنت بكير ابن سعد الأنصاري، وسرنَ من ليلتهنّ حتىّ إذا كان عند طلوع الشمس إذ لاحت لهن الغرة من البعد، ولاحت الأعلام وضربُت البوقات إمام الرأس، فكمنت درّة الصدف ومن معها حتّى قرب القوم منهنّ فسمعن بَكاء الصبيان ونوح النساء، فبكت درة الصدف ومن معها بكاءً شديداً وقالت: مارأيكن؟

قلنَ: الرأي أن نصبر حتّى يقربوا منا وننظر عدة القوم، حتى إذا طلعت الرايات واذا تحتها رجال قد تلثموا بالعمائم وجردوا السيوف وشرعوا الرماح، والبيض تلمع والدروع تسمع، وكلّ منهم يرتجز. فأقبلت درّة الصدف عليهن وقالت: الرأي أن نستنجد ببعض قبائل العرب ونلتقي القوم.

وتوجّه جيش يزيد إلى حلب ودخلوا من باب الأربعين.

قال: فقالت دوّة الصدف: ما لنا ألاّ نكاتب أهل حلب فينجدنا أهل عسكرهم،

فأرسلت إليهم فجاء ستّة آلاف فارس وراجل، وتواصلت الجيوش من كلّ مكان، وأقام كلّ منهم القتال أياما، فتكاثرت الجيوش على دوّة الصدف ومن معها فقالوا: جاءنا مالا طاقة لنا به، ولم يزل يقاتلون القوم إلى أن قتلت دوّة الصدف"[1].

التاسعة:

حديث مجيء الإمام زين العابدين (عليه السلام) لدفن أبيه الحسين مع بني أسد. الذي أنكره السيّد الأمين. أورده أبو عمرو الكشّي (ت القرن الخامس هـ) في "رجاله" في احتجاج الواقفة على الإمام الرضا (عليه السلام)، وذلك عند دخول علي بن أبي حمزة وابن السرّاج وابن المكاري على الإمام (عليه السلام)، حيث ورد فيه:

"فقال له علي. أي ابن أبي حمزة.: إنّا روينا عن آبائك أنّ الإمام لا يلي أمره إلا إمام مثله.

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): "فأخبروني عن الحسين بن علي (عليه السلام) كان إماماً أو كان غير إمام؟".

قال: كان إماماً.

قال: "فمَن ولي أمره؟".

قال: علي بن الحسين.

قال: "وأين كان علي بن الحسين؟".

قال: كان محبوساً بالكوفة في يد عُبيد الله بن زياد، خوجَوهم لا يعلمون به حتىّ ولي أمر أبيه ثم انصرف.

فقال له أبو الحسن (عليه السلام): "إنّ الذي أمكن علي بن الحسين (عليهما السلام) أن يأتي كربلاء

1 ـ سير أعلام النساء 2: 70.

فيلي أمرَ أبيه، فهو يمكّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثم ينصرف، وليس في حبس ولا في اسار"[1].

وذكره أيضاً الشيخ محمّد باقر البهبهاني في "الدمعة الساكبة" حيث قال:

"وفي بعض الكتب المعتبرة عن كتاب "أسرار الشّهادات"[2]: روي أنّه لمّا ارتحل عمر بن سعد لعنه. الله. من كربلاء، وساروا بالسّبايا والرؤوس إلى الكوفة، نزل بنو أسد مكانهم وبنوا بيوتهم، وذهبت نساؤهم إلى الماء، إذا هنّ برأين جثثا حول المسنّاة وجثثاً نائية عن الفرات، وبينهن جثة قد جللتهّن بأنوارها وعطرتهّن بطيبها، فتصارخن النساء وقلن: هذا والله جسد الحسين وأهل بيته (عليهم السلام)، فرجعن إلى بيوتهنّ صارخات، وقلن: يا بني أسد أنتم جلوس في بيوتكم وهذا الحسين وأهل بيته وأصحابه مجزّرون كالأضاحي على الرّمال، وتسفي عليهم الرياح. فإن كنتم ما نعهده فيكم من المحبة والموالاة فقوموا وادفنوا هذه الجثث، فإن لم تدفنوها نتولى دفنها بأنفسنا.

فقال بعضهم لبعض: إنّا نخشى من ابن زياد وابن سعد لعنهم الله أن تصبحنا خيولهم فينهبوننا أو يقتلون أحدنا.

فقال كبيرهم: الرّأي أن نجعل لنا عيناً تنظر إلى طريق الكوفة ونحن نتولى دفنهم.

فقالوا: إنّ هذا الرأي لسديد، ثم إنهمّ وضعوا لهم عينا وأقبلوا إلى جسد الحسين (عليه السلام) وصار لهم بكاء وعويل، ثم إنّهم اجتهدوا على أن يحركوه (عليه السلام) من مكانه ليشقوّا له ضريحا فلم يقدروا أن يحركوا عضوا منً أعضائه.

---

1 ـ رجال الكشّي: 464/883.

2 . الظاهر أنّه غير "أسوار الشهادة" للربندي.

فقال كبيرهم: ما ترون؟

قالوا: الرأي أن نجتهد أوّلا في دفن أهل بيته، ثم نرى رأينا فيه.

فقال كبيرهم: كيف يكون لكم دفنهم وما فيكم مَن يعرف مَن هذا ومنَ هذا، وهم كما ترون جثث بلا رؤوس قد غيرتّهم الشمس والتراب من الرّيح، فلربمّا نسأل عنهم فما الجواب.

فبينما هم في الكلام إذ طلع عليهم أعرابيّ على متن جواده، فلمارأوه انكشفوا عن تلك الجثث الزوّاكي.

قال: فأقبل الأعرابي ونزل عن ظهر جواده إلى الأرض، وصار منحنياً كهيئة الراكع حتّى أتى ورمى بنفسه على جسد الحسين (عليه السلام) وجعل يقبّله تارة ويشمّه اخُرى، وقد بل لثامه من دموع عينيه، ثم رفع رأسه ونظر إلينا فقال: "ما كان وقوفكم حول هذه الجثث؟" فقالوا: أتينا لنتفرج عليها.

فقال (عليه السلام): "ما كان هذا قصدكم".

فقالوا: نعم يا أخ العرب الآن نطلعك على ما في ضمائرنا، أتينا لندفن جسد الحسين (عليه السلام) فلم نقدر أن نحرّك عضواً من أعضائه، ثم اجتهدنا في دفن أهل بيته وما فينا مَن يعرف منَ هذا ومنَ هذا، وهم كما ترى جثث بلا رؤوس قد غيّرتهم الشّمس والتراب، فبينما نحن في الكلام إذ طلعت علينا، فخشينا أنكّ من أصحاب ابن زياد لعنه الله فانكشفنا عن تلك الجثث.

قال: فقام فخطَّ لنا خطاً وقال: "احفروا ههنا"، ففعلنا فيها، فقال: "قدموا هذا وأخروّا هذا"، فوضعنا سبعة عشر جثة بلّا رأس. ثم خطّ لنا خطاً فقال: "احفروا ههنا"،

ففعلنا فوضعنا فيها باقي الجثث واستثنى منها جثة واحدة، وأمر لنا أن نشق لها ضريحاً مما يلي الرأس الشريف، ففعلنا، فدفنّاها. ثم أقبلنا إليه لنعينه على جسد الحسُين (عليه السلام)، وإذا هو يقول لنا بخضوع وخشوع: "أنا أكفيكم أمره".

فقلنا له: يا أخا العرب كيف تكفينا أمره وكلّنا قد اجتهدنا على أن نحرك عضوا مًن أعضائه فلم نقدر عليه.

فبكى بكاء شديداً فقال (عليه السلام): "معي من يعينني"، ثمّ إنهّ بسط كفيه تحت ظهره الشريف وقال: "بسم الله وبالله وفي

سبيل الله وعلى ملّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، هذا ما وعدنا الله تعالى ورسوله وصدق الله ورسوله، ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم".

ثمّ أتوله وحده ولم يشرك معه أحداً منا، ثم وضع خده بنحوه الشريف وهو يبكي فسمعناه يقول:

"طوبى لأرض تضمّنت جسدك الشريف، أما الدنيا فبعدك مظلمة والآخرة فبنورك مشرقة. أما الحزن فسرمد، والليل فمسهّد، حتى يختار الله لي دارك التي أنت مقيم بها، فعليك مني السلام يابن رسول الله ورحمة الله وبركاته".

ثم شوج عليه اللبن وأهال عليه التراب، ثم وضع كفّه على القبر وخطّه بأنامله وكتب: هذا قبر حسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً.

ثم التفت إلينا وقال: "انظروا هل بقي أحد؟" قالوا: نعم يا أخا العرب، قد بقي بطل مطروح حول المسنّاة وحوله جثتان، وكلّما حملنا جانباً منه سقط الآخر; لكثرة ضرب السيوف والسهام.

فقال: "امضوا بنا إليه"، فمضينا إليه، فلمّا رآه انكبّ عليه يقبلّه ويبكي ويقول: "على الدنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم، فعليك منّي السلام من شهيد محتسب ورحمة

الله وبركاته".

ثم أمر لنا أن نشق له ضريحاً ففعلنا، ثم أتوله وحده ولم يشرك معه أحداً منا، ثم شوج عليه اللبن وأهال عليه التراب، ثم أمرنا بدفن الجثتين حوله، ففعلنا ثم مضى إلى جواده فتبعناه ودرنا عليه لنسأله عن نفسه وإذا به يقول:

"أما ضريح الحسين (عليه السلام) فقد علمتم، وأمّا الحفرة الأولى ففيها أهل بيته، والأقرب إليه ولده علي الأكبر، وأما الحفرة الثانية ففيها أصحابه، وأمّا القبر المنفرد فهو حامل لواء الحسين (عليه السلام) حبيب بن مظاهر، وأما البطل المطروح حول المسناة فهو العباس بن أمير المؤمنين (عليهما السلام)، وأمّا الجثتان فهما من أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا سألكم سائل فأعلموه".

فقلنا له: يا أخا العرب نسألك بحقّ الجسد الذي واريته بنفسك وما أشركت معك أحداً منا من أنت؟ فبكى بكاء شديدا فقال: "أنا إمامكم علي بن الحسين (عليه السلام) " فقلنا: أنت علي؟ فقال: "نعم" فغاب عن أبصارنا"[1].

إلاّ أنّ بعض علمائنا الذين كتبوا في واقعة الطف لم يذكروا مجيء الإمام السجاد (عليه السلام) لدفن أبيه (عليه السلام)، بل صرّحوا بأنّ بني أسد هم الذين تولوا دفن الإمام الحسين (عليه السلام) ومن استشهد معه يوم عاشوراء، منهم الشيخ المفيد في "الإرشاد"[2]، والسيّد ابن طاووس في "الملهوف"[3]، والعلاّمة المجلسي في "بحار الأنوار"[4].

---

1 ـ الدمعة الساكبة 5:11 ـ 14.

2 . الإرشاد 2:114.

3 . الملهوف: 190.

4 . بحار الأنوار 45:107 . 108.

وصرّح بذلك أيضاً أبو مخنف في "مقتله"[1]، والمسعودي في "مروج الذهب"[2].

وحكاه عنهم الشيخ محمّد باقر البهباني في "الدمعة الساكبة"[3].

ونحنُ نكتفي بنقل ما قاله الشيخ المفيد في "الإرشاد"، قال:

"ولمّا رحل ابن سعد خرج قوم من بني أسد . كانوا نزولا بالغاضريّة . إلى الحسين وأصحابه رحمة الله عليهم، فصلوا عليهم، ودفنوا الحسين (عليه السلام) حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علي بن الحسين الأصغر عند رجليه، وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صُرعوا حوله مما يلي رِجلَيَ الحسين (عليه السلام) وجمعوهم فدفنوهم جميعا مَعا، وَدفنوا العباسّ ابن علي (عليهما السلام) في موضعه الذي قُتل فيه على طريق الغاضريّة حيث قبره الآن".

ويؤيّد ذلك أيضاً ما ورد في "بحار الأنوار" من قول النبي (صلى الله عليه وآله) بأنّ الحسين (عليه السلام) "يدفنه الغرباء" حيث قال:

"وجدتُ بخطّ محمدّ بن علي الجبعي، نقلا عن خط الّشهيد، نقلا عن مصباح الشيخ أبي منصور (رحمه الله): روي أنه دّخل النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً على فاطمة . وساق الحديث إلى أن قال :: وأمّا الحسين فإنهّ يظّلم، ويمنعُ حقه، وّتقتل ُعترته، وتطؤه الخيل، ويُنهب رحله، وتُسبى نسؤه وذراريه، ويدُفن مرملاً بدمه، ويدفنه الغرباء. قال علي (عليه السلام): فبكيت وقلت: هل يزوره أحد؟ فقال: يزوره الغرباء"[4].

ويمكن حمل قول النبيّ (صلى الله عليه وآله): "ويدفنه الغرباء"، وحمل القول الذي يذهب إليه

1 ـ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام): 260.

2 . مروج الذهب 3:72.

3 . الدمعة الساكبة 5:11.

4 . بحار الأنوار 98:44.

بعض علمائنا بأنّ بني أسد هم الذين دفنوا الحسين (عليه السلام) وأصحابه، على أنّ المراد منه هو مساعدة بني أسد للإمام السجاد (عليه السلام) في دفن أبيه (عليه السلام).

علماً بأنّه قد وردت من طرقنا عدةّ روايات تدل ّعلى أن النبي (صّلى الله عليه وآله) هو الذي تولى دّفن الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد روى الشيخ الصدوق في "الأمالي" عن الإمام الصادق (عليه السلام): "أنّ امُ سّلمة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) أصبحت يوماً تبكي بكاءً شديداً، فقيل لها: مم بّكائك؟

قالت: لقد قُتل ابني الحسين (عليه السلام) الليلة، وذلك أنّي مارأيت رُسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ مضى إلا الّليلة،

فأيته شاحباً كئيباً، فقلت: مالي أراك يا رسول الله شاحبا كئيبا؟ فقال: ما زلت الليلة احتفر القبور للحسين وأصحابه"[1].

وروى العلاّمة المجلسي في "بحار الأنوار" عن "الأمالي" للشيخ الصدوق عن امّ سلمة أنها أصبحت تصوخ صواخا عظيما وهي تقول: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وأبكين معي فقد قتل سيدكنّ الحسين.

فقيل لها: من أينَ علمت ذلك؟

فقالت: رأيت رسول الله شعثاً مذعوراً فسألته عن شأنه فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته فدفنتهم، والساعة فرغت من دفنهم[2].

وعن "الأمالي" للشيخ الصدوق أيضاً بسنده عن ابن عباس عن امّ سلمة أنها قالت: "فلما كانت الليلة القابلة رأيت رسُول الله أغبر أشعث، فسألته عن شأنه فقال:

---

1 ـ الأمالي الشيخ الصدوق: 120، وعنه في بحار الأنوار 45: 230/1.

2 . بحار الأنوار 45:230/1.

ألم تعلمي أنّي فرغت من دفن الحسين وأصحابه"[1].

العاشرة:

حديث مجيء الطيور التي تمرّغت بدم الحسين (عليه السلام) إلى المدينة المنورّة، ومعرفة فاطمة الصغرى بقتل أبيها من تلك الطيور، ذكره السيّد هاشم البحراني (ت 1107هـ) في "مدينة المعاجز"[2] وجعله من معاجز وكرامات الإمام الحسين (عليه السلام) بعد استشهاده. وذكره أيضاً الشيخ عبد الله البحراني (ت القرن الثاني عشر الهجري) في "عوالم العلوم"[3]، وحكاه عنهما الشيخ محمّد باقر البهبهاني في "الدمعة الساكبة"[4]، ونصّ الحديث هو:

"روي من طرق أهل البيت (عليهم السلام): أنّه لمّا استشهد الحسين (عليه السلام) بقي في كربلاء طريحاً وَدمه على الأرض مسفوحاً، وإذا بطائر أبيض قد أتى وتلطّخ بدمه... فمن القضاء والقدر أن طارَ مِن هذه الطيور قصد مدينة الرسول... إلى آخره".

وروى في "العوالم" أيضاً عن علي بن أحمد العاصمي، عن اسماعيل بن أحمد البيهقي، عن أبيه، عن أبي عبد الله الحافظ، عن يحيى بن محمّد العلوي، عن الحسين ابن محمدّ العلوي، عن أبي علي الطوسوسي، عن الحسن بن علي الحلواني، عن علي بن يعمر، عن إسحاق بن عبّاد، عن المفضّل بن عمر الجعفي، عن جعفر بن محمدّ الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال:

"لمّا قتُل الحسين (عليه السلام) جاء غراب فوقع في دمه، ثم تمرّغ ثم طار فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي (عليهما السلام) وهي الصغرى، فرفعت رأسها فنظرت إليه

1 ـ بحار الأنوار 45:231/2.

2 . مدينة المعاجز: 263.

3 . عوالم العلوم 17:493.

4 . الدمعة الساكبة 5:3 . 5.

فبكت بكاءً شديداً وأنشأت تقول:

نَعبُ الغُراب فُقلتَ مِنْ ... تَنْعاه وُيلكْ يا غرابُ

قالَ الإمامَ فقلتُ مُن ... قالَ الموفقّ للصوَابِ

إنَّ الحسُين بَكربلاء ... بَيْنَ الأسنَةِ والّضِرابِ

فَأبكي الحسُين بَعبرةٍ ... وَجْعي الإله مَع الثوابَ

قُلْتُ الحسُين فقال ليَ ... حَقاً لَقدَ سَكنَ التَرابُ

ثُمَّ استقلَ بهّ الجِناح ... فَلَمَ يُطقِ رِدْ الجَّوابَ

فَبكيَتْ مُما حَلّ بيَّ ... بَعدْ الدعُاء المِستُجابَ

قال محمّد بن علي: فنَعَتهَ لُأهل المدينة، فقالوا: قد جاءتنا بسحر عبد المطلب، فما كان بأسوع أن جاءهم الخبر بقتل الحسين بن علي (عليه السلام) [1].

وأخوج هذا الحديث أيضاً الخوارزمي في "مقتل الإمام الحسين (عليه السلام)" [2]، والقاضي السيّد نور الله الحسيني التستوي (الشهيد سنة 1019هـ) في "إحقاق الحقّ" [3]، والعلاّمة المجلسي في "بحار الأنوار" [4]، وحكاه عنهم الشيخ محمّد باقر البهبهاني في "الدمعة الساكبة" [5].

والإشكال الذي يرد على هذه الأحاديث: أنّه كيف يمكن للطائر أن يقطع هذه

1 ـ عوالم العلوم 17:490.

2 . مقتل الحسين (عليه السلام) 2:92.

3 . إحقاق الحقّ 2:93.

4 . بحار الأنوار 45:171 . 172.

5 . الدمعة الساكبة 4:380.

المسافة الطويلة من كربلاء إلى المدينة المنوّرة؟ وكيف اهتدى إلى بيت فاطمة الصغرى بنت الإمام الحسين (عليه السلام)؟ ويمكن الجواب عنه: "بأنّ نوعاً من الطيور في العراق تمعن في الطيران إلى أبعد من المدينة تسمّى "حمام الهدى" أو "حمام الرسائل"، ويؤخذ من قول شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله المعمّري في كتاب "التعريف" أنّ أصل هذه الطيور من الموصل. وقد اعتنى بها الملوك الفاطميين إلى الغاية، وكانت الرسائل تعلّق بأرجلها وترسل فتطير للمكان الذي اعتادته مهما بَعدُ، فإذا اخُذ الكتاب منها عادت إلى المحل الذي جاءت منه مزودة بكتاب أيضا أوً غير مزودة"[1] .

1 ـ انظر النقد النزيه: 19.

الإشكال الثاني

اللحنُ في القراءة

قال السيّد محسن الأمين: "وجلّهم . أي قرّاء التعزية . يتلو الحديث ملحونا"[1] .

وهذا الإشكال وارد على الخطباء قطعاً، فإنّ أكثرهم لا يراعي قواعد اللغة عند تحدثّه باللغة العربيةّ الفصحى ونقله للأحاديث الشريفة والأبيات الشعريّة; وذلك ناشيء من عدم دراستهم لقواعد اللغة، وعدم تدريبهم على مراعاة هذه القواعد التي تحتاج إلى بعض الوقت من أجل ضبطها، وتسوّعهم في ارتقاء المنبر الحسينيّ قبل تسلطّهم الكامل على اللغة العربيةّ.

وهذا الإشكال لم يقتصر على زمان السيّد الأمين، بل نشاهده في أيامنا هذه أيضاً، فقد زرتُ في شهر شعبان سنة 1420هـ إحدى المعاهد العلميّة التي تعتني بتدريب طلبة الحوزة العلميّة في مدينة قم المقدسّة وتعليمهم فن الخطابة، وكان من عادتهم أن يرتقي المنبر كلَ يوم جمعة أحد المتعلّمين لهذا الفنّ ويقرأ مجلس التعزية أمام الضيوف ومسؤول المعهد.

وفي اليوم الذي حضرتُ في ذلك المعهد، ارتقى المنبر شابٌ وسيم في الثلاثين من عمره من أهالي جنوب العراق، وبدأ بقراءة بعض الأبيات الشعرية باللغة العاميّة، وقد كان هذا الشاب يتمتّع بصوت شجيّ، أثرّ في الحاضرين تأثرا كبيراً، خصوصاً أنهّ قرأ بصوته الشجيّ أبياتا تذكّرُ بالأهل والأحبة وقرى الوطن والحنين إلى

1 ـ رسالة التنزيه: 51.

الديار.

ولكن، وللأسف الشديد ما إن شرع هذا الشاب بإلقاء المحاضرة حتّى بدت نقاط الضعف فيه واضحة، خصوصاً في جانب اللغة، فإنّه يرفع وينصب كيف ما شاء، والشيء الذي أثار تعجّبي هو عدم مراعاته لإعراب الكلمات الواردة بعد حروف الجرّ. ولكن، هذا لا يعني أنّ الخطيب يجب عليه أن يتكلمّ باللغة الفصحى من أولّ ارتقائه المنبر إلى حين نزوله منه، ويجب عليه

أن لا يتكلّم باللغة العاميّة الدارجة، بل الواجب عليه مراعاة قواعد اللغة عند تحدثّه باللغة الفصحى، كقراءته للأحاديث والأبيات الشعريّة، ونقله للنصوص التأريخيّة من المصادر.

ولا مانع من أن يتكلّم الخطيب باللغة العاميّة، وينقل للسامعين الحكايات والقصص بأسلوب يفهمونه، ويؤثرّ في نفوسهم في نفس الوقت، فإنّ اُسلوب الحديث ومحتواه الذي يلقُى على أهل القرى والأرياف يجب أن يختلف تماما عَن الذي يلقىُ على الطبقة المثقّفة التي تتوقّع من الخطيب عدم اللحن في القراءة، والتعرّض للمسائل العقائدية، واقامة الأدلة العلمية عليها.

الإشكال الثالث

التلحين في القراءة

قال السيّد محسن الأمين:

"ومنها . أي ومن الأُمور المنكرة في الشعائر الحسينيّة . التلحين بالغناء، الذي قام الإجماع على تحريمه، سواء كان لإثارة السرور أو الحزن، وهذا يستعمله جملة من القرّاء بدون تحاش. ولم يستثنِ الفقهاء من ذلك إلا ّغناء المرأة في الأعراس بشرط أن لا تقول باطلاولا يسمع صوتها الأجانب، وعدّه العلاّمة الطباطبائي من الكبائر [1] في ما حكاه عنه صاحب (الجواهر) [2]؛ لقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيْث لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّه بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيتخذِها هُزُوا أُولَئِكَ لَهُمَ عَذَابَ مهِينُ}[3] [4].

والنظر في هذا الإشكال بعدة نقاط:

الأُولى:

لا خلاف في حرمة الغناء عند علماء الإسلام في الجملة، وقد دلّت على تحريمه روايات مستفيضة، وادّعى فخر المحققيّن (ت 771 هـ) تواترها [5].

1 ـ رياض المسائل 8:155.

2 . جواهر الكلام 22:44.

3 . سورة لقمان: الآية 6.

4 . لم يرد نصّ هذا الإشكال في النسخة المطبوعة لرسالة التنزيه المتوفّرة لدينا، حكاه عنها الشيخ عبد الحسين قاسم الحليّ في "النقد التزيه": 28، والشيخ محمّد الگنجي في "كشف التمويه": 30.

5 . إيضاح الفوائد 1:405.

منها: الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: {وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُورِ}[1]:

كرواية زيد الشّحام قال: سألتُ أبا عبد الله (عليه السلام) عن قوله عزّ وجل: {وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُورِ} قال: "قول الزور: الغناء"[2].

ورواية ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تعالى: {وَاجْتَنِبُوا قَولَ الزُورِ} قال: "قول الزور: الغناء"[3].

ورواية سماعة بن مهران عن أبي بصير قال: سألتُ أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجل: {فَاجْتَنِبُوا الرِجسَ مِنَ الاوثَانِ وَاجتَنِبُوا قَولَ الزُورِ} قال: "الغناء"[4].

ومنها: الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: {لاَ يَشْهَدُونَ الزُورَ}[5]:

كرواية محمّد بن مسلم عن أبي الصباح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال في قوله عزّ وجل: {وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُورَ} قال: "الغناء"[6].

ورواية محمّد بن مسلم الاُخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام) بلا واسطة بينهما في قول الله عزّ وجل: {وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُورَ} قال: "الغناء"[7].

---

1 ـ سورة الحجّ: الآية 30.

2 . الكافي 6: 435/2، وسائل الشيعة 17: 303/2.

3 . الكافي 6: 436/7، وسائل الشيعة 17: 305/8.

4 . الكافي 6: 431/1، وسائل الشيعة 17: 305/9.

5 . سورة الفرقان: الآية 72.

6 . الكافي 6:431/6، وسائل الشيعة 17:304/3.

7 . الكافي 6:433/13، وسائل الشيعة 17:304/5.

ومنها: الروايات الواردة في تفسير قوله تعالى: {وَمِنَ النَاسِ مَن يَشْتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَ عَن سَبِيلِ اللَهِ بِغَيْرِ عِلمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوا أُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ مُهِينٌ}[1]:

كرواية محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال سمعته يقول: "الغناء ممّا وعد الله عليه النار، وتلا هذه الآية: {وَمِنَ النَاسِ مَن يَشْتَرِي...}"[2].

ورواية مهران بن محمّد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: سمعته يقول: "الغناء ممّا قال الله عزّ وجل: {وَمِنَ النَاسِ مَنْ يَشْتَرِي...}"[3].

ورواية الوشّاء قال: سمعتُ أبا الحسن (عليه السلام) يسُأل عن الغناء، فقال: "هو قول الله عز وّجل: {وَمِنَ النَاسِ مَن

يَشْوِي...}[4] .

الثانية:

اختلف اللغويّون والفقهاء في معنى الغناء على عدّة أقوال:

منها: أنّه مطلق الصوت، وهو ظاهر أحمد بن محمّد بن علي المؤْيْ الفيومّي (ت 770هـ)[5] .

ومنها: أنّه مدّ الصوت، حكاه المولى الزاقي (ت 1254 هـ) كقول من دون إسناده إلى قائل معيّن[6] .

وقال المقدّس أحمد الأردبيلي (ت 993 هـ): ٌوالظاهر أنّه يُطلق على مد ّالصوت

---

1 ـ سورة لقمان: الآية 6.

2 . الكافي 6:431/4، وسائل الشيعة 17:304/6.

3 . الكافي 6:431/5، وسائل الشيعة 17:305/7.

4 . الكافي 6:432/8، وسائل الشيعة 17:306/11.

5 . المصباح المنير: 455 "اغنن".

6 . مستند الشيعة 2:240.

من غير طرب، فيكون حراماً; إذ يصحّ تقسيمه إلى المطرب وعدمه"[1].

ومنها: أنّه رفع الصوت وموالاته، حكاه مجدّ الدين أبو السعادات المبارك ابن الأثير (ت 606 هـ) حيث قال: "وكلّ من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء"[2].

ومنها: أنّه تحسين الصوت وترييضه، حكاه جماعة عن الشافعي[3]، وقال ابن الأثير: "إنّ الشافعي قال في حديث: "مَنْ لم يتغنَّ بالقرآن" معناه: تحسين القراءة وترقيقها"[4].

ومنها: أنّه ترجيع الصوت ومدّه، قاله العلامّة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (ت 726هـ)[5].

والمراد بالترجيع: ترديد الصوت في الحلق[6].

ومنها: أنّه مدّ الصوت المشتمل على الترجيع المطرب، قاله اسماعيل بن حماد الجوهري (ت 395هـ)[7]، وهو المحكي عن أكثر فقهائنا[8]:

قال المحقّق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (ت 940 هـ): "ليس مجرّد

1 ـ مجمع الفائدة والبرهان 8:57.

2 . النهاية في غريب الحديث والأثر 3:391 "غنا".

3 . انظر تاج العروس 10:272 "غنى"، مفتاح الكرامة 4:5.

4 . النهاية في غريب الحديث والأثر 3: 391 "غنا".

5 . قواعد الأحكام 2: 236.

6 . مجمع البحرين 4:236.

7 . الصحاح 1:171 "طرب".

8 . انظر مفاتيح الشرائع 2:20.

مدّ الصوت محرّما وإن مالت إليه النفوس مالم ينته إلى حد يكون مطربا بالترجيع المقتضي للإطراب"[1].

وقال الشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي (المستشهد سنة 965 هـ): "إنّه مدّ الصوت المشتمل على الترجيع المطرب، فلا يحرم بدون الوصفين، أعني الترجيع مع الإطراب وإن وجد أحدهما"[2].

وفسّر الجوهري الطرب: "بأنه خفة تعتري الإنسان لشدة حزن أو سرور"[3].

وفسّره الزمخشري: "بأنه خفة لسرور أو هم"[4].

وزاد بعض علمائنا في تعريف الغناء: "بأنّه ما يسمّى في العرف غناء" كالشهيد الثاني في "الروضة البهية"[5]، والمقدّس الأردبيلي في "مجمع الفائدة والبرهان"[6]، والمحدّث الشيخ يوسف البحراني في "الحدائق الناضرة"[7].

وقال الشيخ الأنصاري (ت 1281 هـ) بعد أن ذكر عدّة أقوال في معنى الغنا، وأدلّة كل قول:

"وكيف كان، فالمحصّل من الأدلّة المتقدمّة حرمة الصوت المرجّع فيه على سبيل اللهو; فإن اللّهو كما يكون بآلة من غير صوت . كضرب الأوتار ونحوه . وبالصوت في

---

1 ـ جامع المقاصد 4:23.

2 . مسالك الأفهام 1:165.

3 . الصحاح 1:171 "طرب".

4 . أساس البلاغة: 277 "طرب".

5 . الروضة البهيّة 3:212.

6 . مجمع الفائدة والبرهان 8:57.

7 . الحدائق الناضرة 18:101.

الآلة . كالمزمار ونحوهما . فقد يكون بالصوت المجرّد.

فكلّ صوت يكون لهواً بكيفيتّه ومعدودا مِن ألحان أهل الفسوق والمعاصي فهو حرام وان فرض أنه ليس بغناء، وكل ما لايُعدّ لهواً فليس بحرام وان فرض صدق الغناء عليه فرضا غير محقق; لعدم الدليل على حرمة الغناء إلا منّ حيث كونه باطلا ولهواً ولغواً وزوراً"[1] .

الثالثة:

إذا أخذنا بالقول المشهور عند علمائنا في معنى الغناء: بأنّه مدّ الصوت المشتمل على الترجيع المطرب، وأنه ممّا يسمّى في العرف غناء، وأنّه المناسب لمجالس اللهو.

فهل ينطبق هذا على ما يقرأه الخطباء في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)؟ فإنّ مجالس العزاء التي يعقدها المؤمنون لذكر مصائب الإمام الحسين (عليه السلام) لا تُسمّى مجالس لهو وطرب، وما يقرأه الخطيب لا يسُمىّ غرفا غِناء، بل الذي يحصل في هذه المجالس عند المستمعين للخطيب هو حالة من الحزن والتألّم ثمّ البكاء لما أصاب الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء.

ولو فرضنا أنّ بعض الخطباء أو القارئين خرج عن هذه القاعدة المتعارفة عند أهل هذا الفنّ، وقرأ بألحان غير مألوفة عند المؤمنين، يمكن أن ينطبق عليها تعريف الغناء، فهل يوجب هذا القدحَ في الخطباء ووصف الشعائر الحسينيّة "بدخول امُور منكرة فيها"؟! وأنّ "التلحين بالغناء يستعمله جملة من القرّاء بدون تحاش" بحيث يتصورّ القارئ أن ذلك أمر لا ينفك عنه أي مجلس رثائي؟!

---

1 ـ المكاسب 1:296.

الرابعة:

إضافةً لما تقدّم، فإنّ بعض فقهائنا قد قال بجواز الغناء في المراثي حيث استثنوه من الغناء المحرم:

فقد حكاه المحقّق الكركي (ت940 هـ) عن البعض حيث قال: "واستثني من الغناء: الحداء، وفعل المرأة له في الأعراس بشروطه الآتية، واستثنى بعضهم مراثي الحسين (عليه السلام) كذلك"[1].

ومال إليه المقدّس الأردبيلي (ت 993 هـ) حيث قال: "وبالجملة، لعدم ظهور دليل التحريم، والأصل، وأدلّة جواز النياحة مطلقاً بحيث تشمل الغناء بل الظاهر أنّها لا تكون إلا معه، يفيد الجواز والله العالم"[2].

ونسبه المولى محمّد مؤمن بن محمّد باقر السبزواري (ت 1090 هـ) إلى بعض فقهائنا[3]، وقوّاه الشيخ الزاقي (ت 1254هـ) أيضاً[4]. ونسبه السيّد علي الطباطبائي (ت 1231هـ)[5] والشيخ محمّد حسن النجفي (ت 1266هـ)[6] إلى بعض الفقهاء أيضاً دون تعيين أسمائهم.

---

1 ـ جامع المقاصد 4:23.

2 . مجمع الفائدة والبرهان 8:63.

3 . كفاية الأحكام: 86.

4 . مستند الشيعة 2:644.

5 . رياض المسائل 8: 157.

6 . جواهر الكلام 44:51.

الإشكال الرابع

إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها

قال السيّد محسن الأمين:

"ومنها . أي ومن الأُمور المنكرة في الشعائر الحسينيّة . إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها بضرب الرؤوس وجرحها بالمدى والسيوف حتّى يسيل دمها، وكثيراً ما يؤدّي ذلك الى الإغماء يترف الدم الكثير، والى المرض أو الموت وطول برء الجرح. وبضرب الظهور بسلاسل الحديد، وغير ذلك.

وتحريم ذلك ثابت بالعقل والنقل، وما هو معلوم من سهولة الشريعة وسماحتها الذي تمدّح به رسول الله (صلى الله عليه

وآله) بقوله: "جئتكم بالشريعة السهلة السمحاء" ومن رفع الحرج والمشقّة في الدين بقوله تعالى: {مَا جَعَلَ عَلَيكمَ فِي الدِين منٍّ حَرَجٍ}[1] "[2].

وتطرّق السيّد الأمين لهذا الإشكال أيضا في معرض ردّه على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي في عدة موارد من هذه الرسالة، نذكرها إن شاء الله تعالى أثناء توضيحنا ومناقشتنا لكلامه والذي نورده في عدّة نقاط:

الأُولى:

من الشعائر التي يقيمها بعض محبّي أهل البيت (عليهم السلام) هو شجّ الرؤوس يوم عاشوراء أو ما يسُمىّ بـ "التطبير"، حيث يخرج جماعة من الناس بموكب منتظم

1 ـ سورة الحجّ: الآية 78.

2 .رسالة التنزيه:42.

وقد حلقوا رؤوسهم ولبسوا الأكفان، وعندما يصلون إلى مكان معيّن متّفق عليه بينهم .وأكثر ما يكون صحن إمام معصوم أو مكان مقدّس . يبدأون بضرب رؤوسهم بالسيوف وهم ينادون: ياحسين ياحسين، ويصاحب ذلك كلّه ضرب الطبول. وهم يعتقدون بأنّهم إنّما يفعلون ذلك تأسياً بما جرى على الإمام الحسين (عليه السلام)، وطلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى.

ولم تُحددّ لنا كتُب التأريخ بشكل مضبوط ودقيق الزمان والمكان اللذين بدأت فيهما هذه الظاهرة، إلا أنّ الذي يظهر من بعض المقالات التي نُشرت بشكل متفرق، ومما سمعناه من أفواه المعمرين نقلا عن آبائهم وأجدادهم، أن زمانها لم يتعد القرن والنصف أو القرنين.

وهناك روايتان مختلفتان بعض الاختلاف تتحدّثان عن مبدأ هذه الظاهرة، ذكرهما طالب علي الشرقي في مقال نشره في مجلّة "الموسم" تحت عنوان "من تأريخ الشعائر الحسينيّة في النجف الأشرف":

"الأُولى: أنّ الشيعة من القفقاسيين عندما يأتون إلى زيارة الأئمة في كربلاء والنجف كانوا يستخدمون الحيوانات في سفرهم، وأسلحتهم السيوف. وتستغرق مدّة السيّر من ثلاثة إلى أربعة شهور حتىّ يصلوا إلى العتبات المقدسّة، وكلهمّ لهفة لرؤية قبور الأئمّة ونفوسهم مفعمة بالحبّ لآل البيت.

فصادف أن دخلت إحدى قوافل الزائرين القفقاسيين إلى كربلاء يوم عاشوراء، وكانت المدينة صورة صادقة للحزن، لقد سوّدت المساجد والجوامع وواجهات المحال، وعمّ البكاء واللطم على أتمه، ومقتل الحسين (عليه السلام) يقرأ في الشوارع وفي الصحن الحسينيّ الشريف.

واتّفق أن يكون أحد القفقاسيين جاهلا بهذه الأمُور، فشرح له أحد العارفين

باللغة التركية معركة الطف، وأظهر له . بشكل لا يطيقه قلب محبّ . الصور المؤلمة التي مرّت على الحسين (عليه السلام) ومن معه.

فأثّر ذلك في نفسه وأفقده صوابه، فسلّ سيفه وضرب رأسه ضربة منكرة.

واستحسن أحد رؤساء مواكب العزاء . وكان تركياً . هذه العمليّة، فنظمّ في السنة التي تلت تلك الحادثة عزاء مكوّنا مّن مجموعة صغيرة من الأفراد يلبسون الأكفان ويحملون السيوف، ذهب بهم إلى المكان المعروف اليوم بالمخيّم، وجاء بحلاّق فحلق شعر رؤوسهم، وجرح كلّ فرد منهم جرحاً بسيطا في رأسه، وخرجوا بهذه الهيئة متجّهين إلى مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) وهم ينادون: "يا حسين" حتّى وصلوا إلى الصحن الشريف، وبعد عويل وبكاء تفرّقوا.

الثانية: أنّ الشيعة من أتراك آذربيجان وتبريز وقفقاسية قدموا إلى العراق لزيارة العتبات المقدسّة، وذلك في النصف الأولّ من القرن التاسع عشر الميلادي، فدخل جماعة منهم في اليوم العاشر من محرّم الحرام إلى صحن الإمام الحسين (عليه السلام)، واجتمعوا قرب الباب المعروف اليوم بـ "الزينبيّة" ومعهم القامات، وهو سلاحهم التقليدي الذي يلازمهم خلال السفر.

ثمّ أقاموا مجلساً للتعزية في المكان المذكور، وأخذ مقرئهم يشرح لهم واقعة الطف باللغة التركيةّ بشكل أهاج مشاعرهم، فأخرجوا قاماتهم وأخذوا يضربون رؤوسهم دون أن يحلقوها وبشكل عنيف حول صخرة بارزة في المكان المذكور.

فاستحسن بعض رؤساءالمواكب هذه العمليّة، فأخرج موكباً صغيراً للتطبير، واقتفى أثره جماعة اخرُى من الأتراك الموجودين في النجف الأشرف فشكّلوا عزاءً قبل َما يقرب من مائة وخمسين سنة، وهكذا استمرتّ هذه الظاهرة.

هذا ما نعرفه عن مبدأ هذه الظاهرة في العراق، أمّا عن مبدئها في باقي المدن الشيعيّة كيف ومتى ظهرت، ومنَ أسسّها، وهل انتقلت إليها من العراق؟ فلا اطّلاع لنا عليه الآن"[1] .

الثانية:

ومن الشعائر التي يقيمها مُحبوّ أهل البيت (عليهم السلام) أيضا هًو موكب السلاسل، وّهو موكب يتألفّ من جماعة من الرجال مكشوفي الظهور، بأيديهم سلاسل الحديد يضربون ظهورهم بها، عليهم الثياب السود، وأمامهم وخلفهم الأعلام السوداء، يمشون بهدوء وسكون لا يتواثبون، ينشدون أناشيد الحزن، ويخرجون صفوفاً متكاتفة مختوقين الأزقة والشوارع العموميّة"[2] .

الثالثة:

استدلّ السيدّ محسن الأمين بدليل العقل على حرمة ضرب الرؤوس وجرحها بالمدُى والسيوف وضرب الظهور بسلاسل الحديد، التي هي من مصاديق إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

ويمكن مناقشة هذا الاستدلال إذ نقول:

إنّ استقلال العقل بقبح إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها ممنوع على إطلاقه، فإننّا نشاهد كثيراً مّن العقلاء يتحملوّن مضار كبيرة ومتاعب شاقة، ويعرّضون أنفسهم لمخاطر جسيمه; لأجل الوصول إلى غرض من الأغراض والفوز بيسير من المقاصد

الدنيويّة.

فالتاجر يخوض غمار الشدائد ويلج العقبات الكأداء، ويبذل أموالا طائلة، ويسافر إلى بلدان نائية، كلّ ذلك رجاء أن تربح تجارته ويعود إلى بلده بكميّة من

1 ـ الموسم 12:212 ـ 213، السنة 1991م ـ 1412هـ.

2 . نصوة المظلوم: 31.

الأموال. وربّما يخيب أمله وينقطع رجاءه فلا يربح شيئاً، بل يخسر رأس ماله أيضا كما خسر وقته وصحته.

وكثيراً من الذين يمارسون الألعاب الرياضيّة يتحملّون مصاعب جمّة ومتاعب كثيرة، وربما يتعرضّون لجروح عميقة في أجسادهم أو كسور عظامهم، بل يحتمل أن يفقدوا عضواً من أعضائهم، كلّ ذلك من أجل الفوز بالمنافع المعنويّة والماديّة.

فالعقل لا يحكم على التاجر والرياضي ولا غيرهما بالسّفاهة، ولا يذمّهم ولا يستهجن أعمالهم.

إذاً فالعقل ليس له حكم استقلاليّ بالقبح على عنوان الإضرار بالنفس مادام هناك غرض صحيح وفائدة معتدّ بها، نعم إذا خلا أيّ عمل عن الغرض الصحيح والفائدة المتوقّعة كان مظنةّ لذّم العقلاء له والاستهجان به; لكونه عبثا لا فائدة فيه. وهذا يعني أنّ ذمّ العقل لأيّ عمل ليس دائرا مدار الإضرار بالنفس، بل مدار انتفاء الغرض الصحيح والفائدة المعتد بها.

وقد صرّح الكثير من علمائنا بهذا الأمر في مصنفّاتهم الفقهيّة والاصُولية، منهم الشيخ الأنصاري (ت 1281هـ) حيث قال في بعض رسائله:

"العقل لا يحكم بوجوب الاحتراز عن الضرر الدنيويّ المقطوع إذا كان لبعض الدواعي النفسانيّة، وقد جوّز الشارع بل أمر به في بعض الموارد".

وقال أيضاً بعد الحكم بوجوب دفع الضرر المشكوك عقلا:

"لكن حكم العقل بوجوب دفع الضرر المتيقّن إنمّا هو بملاحظة نفس الضرر الدنيوي من حيث هو، كما يحكم بوجوب دفع الضرر الأُخروي كذلك. إلاّ أنهّ قد يتحدّ مع الضرر الدنيوي عنوان يترتب عليه نفع اخروُي، فلا يستقل العقلّ بوجوب دفعه، ولذا لا

ينكر العقل أمر الشارع بتسليم النفس للحدود والقصاص وتعريضها له في الجهاد والإكراه على القتل. وحينئذ فالضرر الدنيويّ المقطوع يجوز أن يبيحه الشارع لمصلحة، فإباحته للضرر المشكوك لمصلحة الترخيص على العباد أو لغيرها من المصالح أولى بالجواز [1] ".

وعلى هذا فإنّ العقل "لو كان مستقلاّ بقبح الإضرار على النفس مطلقا لمّا أمكن وجود التكاليف الضررية في الشرع; لأن الحكم العقلي غير قابل للتخصيص، والشارع لا يأمر بما يستقل العقل بقبحه، مع أنّ وجود التكليف الضرري في الشرع المقدّس

غير عزيز. وناهيك للشهادة عليه بفرض الجهاد الذي يكون المطلوب فيه تعويض النفس للرماح المشرعات وبيض السيوف وسفك المهج في سبيل الدين. وكذلك فرض الزكاة والخمس والحجّ التي بنؤها على بذل الأموال الطائلة ومقاساة شدائد الأسفار; امتثالا لأمر الله سبحانه، فهل ترى هذه الأحكام كلّها مخالفة لاستقلال العقل بقبح الضرر؟!"[2].

الرابعة:

الدليل الثاني الذي استدلّ به السيّد محسن الأمين في قوله بحرمة ضرب الرؤوس وجرحها بالمدُى والسيوف وضرب الظهور بالسلاسل، التي هي من مصاديق إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها، هو الدليل النقلي.

وهذا الدليل يرجع إلى قاعدة العسر والحرج، ونحن نناقش هذه القاعدة بشكل مختصر.

---

1 ـ حكاه عنه السيّد علي نقي اللكهنوي في رسالته "إقالة العاثر": 20 ـ 21.

2 . إقالة العاثر: 21.

قاعدة العسر والحرج

تُفسَّر قاعدة العسر والحرج بوجهين:

الأوّل:

أنّ العسر والحرج أوجبا وقوع التخفيف في أصل شرعيّة الأحكام، أي أنّ الثابت في الشرع هو عبارة عن تكاليف لا عسر ولا حرج فيها. وقد يستدلّ على هذا ـ كما فعل السيّد الأمين ـ بقول النبيّ (صلى الله عليه وآله): "بعثت بالحنيفية السهلة السمحة"[1].

الثاني:

أنّ العسر لو طرأ على تكليف من التكاليف التي هي في نفسها وفي أصل شرعيّتها لا عسر فيها ولا حرج، فإنّه حينئذ يوجب الحكم بتخفيف هذا التكليف. ويدلّ على هذا قوله تعالى: **{مَا جَعَلَ عَلَيكمَ فىِ الدِينِ منِّ حرَجٍ}**[2] وقوله: **{يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يرِيدُ بِكمُ العسْرَ}**[3] وأمثال ذلك كثيرة في التكاليف الشرعيّة.

والسيّد الأمين سواء أراد أنّ بعض الشعائر الحسينيّة أساسا فيها عسر وحرج; لذلك فإنها محرمة. أم أراد أن الشعائر الحسينيّة لها حكم في الشريعة أساساً. غير الحرمة. إلا أنها حرمت لطروء العسر والحرج عليها، فيمكن جوابه بعدة نقاط:

الأُولى:

إنّ قاعدة العسر والحرج بمعنييها السالفين مختصّة بالإلزاميّات، وقد صرّح فقهاؤنا بذلك في الكثير من مصنفاتهم، لذلك

فإنّهم جزموا بشرعية العبادات

1 ـ الكافي 5:494/1.

2 . سورة الحجّ: الآية 78.

3 . سورة البقرة: 185.

الشاقّة المستحبّة وصحتّها، كصوم الدهر عدا العيدين واحياء الليالي بالعبادة في تمام العمر.

والشعائر الحسينيّة ليست من الإلزاميات، بل هي اُمور ندَب إليها الشارع وأكدّ عليها، والأدلة ّعلى استحبابها كثيرة ومعروفة.

الثانية:

أكثر فقهائنا يذهبون إلى أنّ قاعدة الحرج تشمل الحرج الشخصي لا النوعي، وهذا يعني أنّ الحكم يرُفع عمنّ يكون الفعل في حقّه عسراً وحرجا ًفقط.

وبعض الشعائر الحسينيّة التي فيها عسر وحرج على بعض الأشخاص فإنّها يرفع حكمها عنهم فقط، لا عن الأشخاص الذين تعوّدوا عليها ولا يلزمهم أي عسر وحرج في ممارستها، وعلى هذا فلا يمكن تعميم الحكم والقول برحمتها أو عدم مشروعيتّها أصلا.

الثالثة:

ذهب كافّة فقهائنا . إلاّ منَ شذ مّنهم . إلى مشروعية ّالعبادات الحرجية وّصحتها ّكالصوم الحرجي، والطهارة ّالحرجية منّ الوضوء والغسل للغايات الواجبة.

فعلى هذا لو توضّأ من يكون الوضوء عليه عسراً بقصد رجحانه الذاتي، يرتفع حدثه ويسقط عنه وجوب التيممّ; لارتفاع موضوعه. وكذا من يكون الصوم في حقّه حرجياً مع عدم تضررّه، بل لو تحمل ّالعسر وصام بلحاظ حسنه ورجحانه ذاتا كانّ صومه جائزاً.

فلماذا تكون الشعائر الحسينيّة . التي دلتّ الكثير من الأدلةّ على رجحانها لذاتها أو بعنوان كونها من الإبكاء واظهار الحزن والجزع على سيّد الشهداء عليه السّلام . غير مشروعة أو غير محكومة بالاستحباب، لمجردّ دعوى كونها متعسرةّ على بعض الأشخاص؟!

الرابعة:

بعد أن استدلّ السيدّ الأمين بقاعدة العسر والحرج واضرار النفس،

على حرمة ضرب الرؤوس وجرحها بالمُدى والسيوف وضرب الظهور بسلاسل الحديد، ردّ على معاصره الشيخ عبد الحسين صادق العاملي الذي أورد عدّة مصاديق على جواز تحمل الحرج في العبادات صدرت من الأنبياء والأولياء.

والسيّد الأمين في ردّه هذا يشكّك في صحة هذه المصاديق: كقيام النبي (صلى الله عليه وآله) في الصلاة حتى تورمت قدماه، ووضعه (صلى الله عليه وآله) حجر المجاعة على بطنه مع اقتداره على الشبع، وحجّ الأئمة (عليهم السلام) مشاة حتى تورّمت أقدامهم مع تمكنهم من الركوب.

ونحن نورد أوّلا عبارة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي، وبعدها نذكر ردّ السيد الأمين عليه، ثم نقوم بمناقشة كلامهما وتوضيح المُبهم فيه.

تورّم قدم النبي (صلى الله عليه وآله) من القيام في الصلاة

قال الشيخ عبد الحسين صادق العاملي:

"لو كان الشاقّ وإن دخل تحت القدرة والطوق غير مشروع، ما فعلته الأنبياء والأولياء، ألم يقم النبي (صلى الله عليه وآله) للصلاة حتى تورّمت قدماه؟!"[1].

وقال السيّد محسن الأمين في جوابه:

"أمّا استشهاده بقيام النبيّ (صلى الله عليه وآله) للصلاة حتى تورمت قدماه، فإن صح فلا بد أن يكون من باب الاتفاق، أي ترتّب الورم على القيام اتفاقاً، ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) يعلم بترتبه، والا لم يجز القيام المعلوم أو المظنون أنه يؤدّي إلى ذلك; لأنه ضرر يرفع

1 ـ رسالة التنزيه:65.

التكليف ويوجب حرمة الفعل المؤدّي إليه"[1].

أقول: أوّلا: العجب من السيّد الأمين كيف شكّك في هذا الأمر الذي رواه الثقات من أصحابنا، وذكره الكثير من فقهائنا في موسوعاتهم الفقهيّة:

فقد رواه المحدّث علي بن إبراهيم القمّي (من أعلام القرنين الثالث والرابع) في "تفسيره" بسنده عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) حيث قال:

"كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا صلّى قام على أصابع رجليه حتى تورمت، فأنزل الله تبارك وتعالى: **{طَه}** بلغة طيّ يا محمد **{مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ إِلا تَذْكِرَةً لِمَن يَخْشَىٰ}**[2]"[3].

ورواه أيضاً أمين الإسلام الشيخ أحمد بن علي الطبرسي (ت القرن السادس) في كتابه "الاحتجاج" بسنده عن الإمام الكاظم (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن الإمام علي (عليه السلام) في احتجاجه على أحبار اليهود حيث قال:

"قال اليهودي: فإنّ هذا داود (عليه السلام) بكى على خطيئته حتى سرت الجبال معه لخوفه.

فقال له علي (عليه السلام): "لقد كان كذلك، ومحمّد (صلى الله عليه وآله) اُعطي مَا هو أفضل من هذا، إنه كان إذا قام إلى الصلاة يُسمع لصدره وجوفه أزير [4] كأزير المِرْجَل [5] على الأثافي [6]

1 ـ رسالة التنزيه:66.

2 . سورة طه: 1 . 3.

3 . تفسير القمّي 2:58.

4 . الأزير: الصوت.

5 . المِرْجَلُ: قدر مْنّ نحاس. الصحاح 5:1705 "رجل".

6 . التي يوضع عليها القدر.

من شدّة البكاء. وقد آمنه الله عزّ وجلّ من عقابه، فأراد أن يتخشّع ربه ببكائه ويكون إماما لمَن اقتدى به.

ولقد قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشر سنين على أطراف أصابعه حتّى تورّمت قدماه واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع، حتّى عُوتب في ذلك فقال الله عزّ وجل: {طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيكَ القُرآن لِتَشْقَى} [1] بل لتسعد به.

ولقد كان يبكي حتّى يغشى عليه. فقيل له: يا رسول الله أليس الله عزّ وجلّ قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "بلى، أفلا أكون عبداً شكورا" [2].

وأخرجه أيضاً بهذا اللفظ الشيخ قطب الدين الراوندي (ت 573 هـ) في "الخرائج والجرائح" [3].

وروى السيّد الجليل علي بن موسى بن طاووس (ت 664 هـ) في "فتح الأبواب" بسنده عن الرضا عن الإمام السجاد (عليه السلام) حيث قال:

"كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقف في الصلاة حتّى يرَم [4] قدماه، ويظمأ في الصيام حتّى يعَصْبِ فوه [5]، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟

1 ـ سورة طه: الآية 1 ـ 2.

2 . الإحتجاج 1: 519 . 520.

3 . الخرائج والجرائح 2:917.

4 . قال ابن الأثير في النهاية 5:177 "ورم": فيه: "أنّه قام حتّى ورمَتِ قدماه" أي انتفخت من طول قيامه في صلاة الليل. يقال: ورَمِ يرمَ، ورُالقياس: يورمَ، وهو أحد ما جاء على هذا البناء.

5 . عصب الريق بفيه: إذا يبس عليه، والمراد هنا شدّة الظمأ والعطش. انظر الصحاح 1:83 "عصب".

(1)

فيقول (صلى الله عليه وآله): "أفلا أكون عبداً شكورا" .

وقال المحدّث البحراني (ت 1186 هـ) في تفسيره:

"إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يقوم في الصلاة على أطراف أصابعه حتىّ تورمّت قدماه; إجهادا لنفسه في العبادة، حتّى عاتبه الله تعالى على ذلك رأفةً فقال: {طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ}[2] "[3] .

ثانياً: والأعجب من ذلك أنّ السيدّ الأمين (رحمه الله) لم يكتف بتشكيكه بتورمّ قدمي النبي (صلى الله عليه وآله) من قيامه للصلاة، بل يدّعي اتفاقيّة ترتبّ الورم على قيامه، أي أنه لم يكن يقصد إيذاء نفسه في سبيل الله تعالى وتحمل هذا القيام الشاق في الصلاة، ولم يكن يعلم بما سيؤول إليه الاستمرار في القيام بهذا الشكل.

وهذا غير صحيح قطعاً، فإنّ هناك أدلةّ كثيرة تدل على أنه (صلى الله عليه وآله) كان يتعمد فعل ذلك، بل ويداوم عليه، ويختار أشقّ أفراد العبادة، فالروايات السابقة التي ذكرناها دالةّ على ذلك بوضوح.

وروى ثقة الإسلام الشيخ الكليني (ت 328 هـ) بسنده عن أبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقوم على أطراف أصابع رجليه، فأنزل الله سبحانه: {طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ}[4] "[5] .

وقال الشيخ الطوسي (ت 460هـ) في "التبيان":

---

1 ـ فتح الأبواب: 170 ـ 171.

2 . سورة طه: الآية 1 . 2.

3 . البرهان في تفسير 2:670.

4 . سورة طه: الآية 1 . 2.

5 . الكافي 2:77/6.

"قال مجاهد: إنّها . آية {طه} . نزلت بسبب ما كان يلقى من التعب والسهر في قيام الليل"[1] .

وقال أمين الإسلام الطبرسي (ت القرن السادس) في "مجمع البيان": "وقد روي أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) كان يرفع رجله في الصلاة لمزيد تعبه، فأنزل الله: {طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ}[2] "[3] .

وحكى عن قتادة أنّه قال: "وكان يصلّي الليل ويعلقّ صدره بحبل حتىّ لا يغلبه النوم، فأمره الله سبحانه بأن يخففّ عن نفسه، وذكر أنّه ما أنزل عليه القرآن ليتعب كلّ هذا التعب"[4] .

وذكر ابن شهرآشوب (ت 588 هـ) جواب الإمام السّجاد (عليه السلام) لجابر بن عبد الله الأنصاري، حيث أنكر عليه ما يفعله بنفسه من كثرة العبادة إذ قال (عليه السلام):

"يا صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما علمتَ أنّ جديّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غفر الله له ما تقدمّ من ذنبه وما تأخّر، فلم يدع الاجتهاد وتعبدّ . هو بأبي وأمّي . حتىّ انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما

تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبدا شكورا"[5] .

وتعوّض كثير من فقهائنا لهذا الأمر في كتبهم الفقهية: كالمحدثّ الشيخ يوسف

1 ـ التبيان 7:158.

2 . سورة طه: الآية 1 . 2.

3 . مجمع البيان 7:6.

4 . مجمع البيان 7:7.

5 . مناقب آل أبي طالب 4: 161 . 162.

البحراني (ت 1186 هـ) في "الحدائق الناضرة" في باب أعداد الصلاة اليوميّة ونوافلها[1] ، والشيخ محمّد حسن النجفي (ت 1266 هـ) في "جواهر الكلام" في بحث القيام للصلاة حيث قال: "إنّه لم يكن يرى وجوبه بل كان يختاره من بين الأفراد لأنّه أحمز وأشقّ"[2] .

ثالثاً: إذا خفيت عبادة النبي (صلى الله عليه وآله) وتورّم قدميه من القيام للصلاة وايذاء نفسه وتحميلها العبادة الشاقّة في سبيل الله، فلا تخفى على أحد طالعَ كتب التأريخ والسيّر عبادة الإمام علي (عليه السلام) والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والأئمّة من ولدها (عليهم السلام)، خصوصاً الإمام السجّاد (عليه السلام) حيث ملئت كتب المناقب والسيرّ بذلك.

فقد ذكر الشيخ المفيد (ت 413 هـ) دخول الإمام الباقر (عليه السلام) على أبيه السجاد (عليه السلام) ووصف حاله في العبادة حيث قال:

"فإذا به قد بلغ من العبادة مالم يبلغه أحد، فوآه قد اصفرَّ لونه من السّهر، ورمَصِتَ[3] عيناه من البكاء، ودَبِرت جبهتهُ[4] ، وانخرم أنفُه[5] من السجود، ورَمِت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة.

فقال أبو جعفر (عليه السلام): فلم أتمالك حينَ رأيته بتلك الحال البكاءَ، فبكيت رحمة لَه، واذا هو يفكرّ، فالتفت إلي بعد هنيئةٌ من دخولي فقال: يا بُنيّ أعطني من بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأعطيتهُ، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده

1 ـ الحدائق الناضرة 6:28.

2 . جواهر الكلام 9:252.

3 . رَمِصت العين: إذا جمد الوسخ في موقها. المصباح المنير 1:238 "رمص".

4 . أي أصبح فيها ما يشبه الثَّفِنة. انظر الصحاح 2:653 "دبر".

5 . أي ثُقب. المصباح المنير 1:167 "خرم".

تضحّواً وقال: منَ يقوى على عبادة علي (عليه السلام)؟!"[1] .

ورواه أيضاً الفضل بن الحسن الطبرسي (ت 548 هـ) في "إعلام الورى"[2] ومحمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت 588هـ) في "مناقب آل أبي طالب"[3] .

وحكى ابن شهرآشوب أيضاً عن الحسن البصري أنّه قال: "ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة (عليها السلام)، كانت تقوم الليل حتّى تورّم قدماها"[4] .

وحكى أيضاً عن عدّة مصادر من العامة قولهم: "لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله حتىّ مجلت يداها[5] "[6] .

وحكى عن "تفسير الثعلبي" عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وعن "تفسير القشيري" عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّه رأى فاطمة وعليها كساء من أجلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: "يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة"[7] .

---

1 ـ الإرشاد 2:142.

2 . إعلام الورى: 254.

3 . مناقب آل أبي طالب 4:162.

4 . مناقب آل أبي طالب 3:389.

5 . أي ثخن جلدُها وظهر فيها ما يشبه البثر من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة. مجمع البحرين 5:472 "مجل".

6 . مناقب آل أبي طالب 3:392.

7 . مناقب آل أبي طالب 3:391.

وروى الشيخ محمّد بن يعقوب الكليني (ت 328 هـ) في "الكافي" بسنده عن محمّد بن أبي حمزة عن أبيه قال:

"رأيت علي بن الحسين (عليه السلام) في فناء الكعبة في الليل وهو يصلّي، فأطال القيام حتّى جعل يتوكأ مرةً على رجله اليمنى، ومرة على رجله اليسرى"[1] .

وقال الشيخ الصدوق محمّد بن علي بن إبراهيم القمّي (ت 381 هـ) في "الخصال" في باب "ذكر ثلاث وعشرين خصلة من الخصال المحمودة التي وصف بها علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ":

"كان علي بن الحسين (عليه السلام) يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، كما كان يفعل أمير المؤمنين (عليه السلام)، كانت له خمسمائة نخلة فكان يصلّي عند كلّ نخلة ركعتين . إلى أن قال . ولمّا وضع على المغتسل نظروا إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين . إلى أن قال . ولقد كان يسقط منه كلّ سنة سبع ثفنات من مواضع سجوده; لكثرة صلاته، وكان يجمعها فلمّا مات دفنت معه"[2] .

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن عمرو بن عبد الله الجملي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

"إنّ فاطمة بنت علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمّا نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة، أتت جابر بن عبد الله الأنصاري فقالت له: يا صاحب رسول الله، إنّ لنا عليكم حقوقاً، ومن حقنا عليكم أن إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله وتدعوه إلى البقيا على نفسه، وهذا علي بن الحسين بقية أبيه

1 ـ الكافي 2: 422/1، وسائل الشيعة 5:490/1.

2 . الخصال: 517 . 518.

الحسين قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه; دأباً منه لنفسه في العبادة".

ثمّ ذكر كيفية دخول جابر بن عبد الله الأنصاري على الإمام السجاد (عليه السلام) وقوله له: يا بن رسول الله، أما علمت أنّ الله تعالى إنّما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفتهّ نفسك؟

قال له علي بن الحسين عليهما السلام: يا صاحب رسول الله، أما علمتَ أنّ جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر فلم يدع الاجتهاد له، وتعبدّ . بأبي هو وامي . حتى انتفخ الساق وورم القدم، وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟! قال: أفلا أكون عبدا شكورا"[1] .

وفي "القاموس المحيط": "وذو الثفنات: علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام) "[2] .

حجّ الأئمة مشاة حتىّ تورمت أقدامهم

قال الشيخ عبد الحسين صادق العاملي: "ألم تحجّ الأئمة مشاة حتّى تورمّت أقدامهم مع تمكنهّم من الركوب"[3] .

وقال السيّد محسن الأمين في جوابه: "وكذا استشهاده بحجّ الأئمة مشاة هو من هذا القبيل"[4] .

وهذا معطوف على الكلام الذي ذكرناه سابقاً في قيام النبيّ (صلى الله عليه وآله) في الصلاة

1 ـ أمالي الطوسي: 636 ـ 637.

2 . القاموس المحيط 4:209 "ثَفَنَ".

3 . رسالة التنزيه:65.

4 . رسالة التنزيه:67.

حتّى تورمّت قدماه، أي أنّ حجّ الأئمة مشاة حتى تورمتّ أقدامهم لو صح فلابّد أن يكون من باب الاتفاق، أي ترتب الورّم على القيام اتّفاقاً مع عدم علمهم بترتبّه.

أقول: وهذا أيضاً عجيب من السيّد الأمين، كيف يشُككّ في حج الأئمة مشاة حتى تورمتّ أقدامهم، فإن الأدّلة علىّ ذلك

كثرة، وهي دالّة على أنّهم كانوا يفعلون ذلك باختيارهم مع علمهم بما سيؤول إليه هذا المشي من التعب وتورّم القدم، وكانوا يحتسبون ذلك قربة إلى الله تعالى.

روى الشيخ الكليني (ت 328 هـ) بسنده عن أبي أُسامة عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال: "خرج الحسن بن عليعليهما السلام إلى مكّة سنة ماشياً فورمت قدماه، فقال له بعض مواليه: لو ركبت لسكن عنك هذا الورم. فقال: كلاّ، إذا أتينا هذا المنزل فإنّه يستقبلك أسود ومعه دهن فاشترِ منهولا تماكسه"[1].

وروى الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) بسنده عن الحلبي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "إنّ الحسن بن علي قاسم ربّه ثلاث مرّات حتىّ نعلا ونعلا، وثوبا وثوبا ودِّينارا ودِّينارا، وحجّ عشرين حجة ماشيا على قدميه"[2].

وذكره ابن شهرآشوب المازندراني (ت 588هـ) في "المناقب" عن بعض مصادر العامّة[3].

وروى أيضاً عن ابن عباس أنّه قال: "لقد حجّ الحسن بن عليعليهما السلام خمسا وعشرين حجة ماشيا وانّ النّجائب لتقاد معه"[4].

---

1 ـ الكافي 1:385/6، وسائل الشيعة 11:80/8.

2 . التهذيب 5:11/29، الاستبصار 2:141/461، وسائل الشيعة 11:78/3.

3 . مناقب آل أبي طالب 4:17 . 18.

4 . مناقب آل أبي طالب 4:18.

وروى أحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت 280هـ) بسنده عن أبي المنكدر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: "قال ابن عباس: وكان الحسين بن عليعليهما السلام يمشي إلى الحجّ ودابته تقُاد وراءه"[1].

وذكر الشيخ المفيد بسنده عن إبراهيم بن علي عن أبيه أنّه قال: "حجّ علي بن الحسينعليهما السلام ماشياً فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكّة"[2].

وحكاه عنه ابن شهرآشوب المازندراني في "المناقب"[3].

بكاء الإمام السّجاد (عليه السلام) على أبيه الإمام الحسين (عليه السلام)

قال الشيخ عبد الحسين صادق العاملي: "ألم يتّخذ علي بن الحسينعليهما السلامالبكاء على أبيه دأباً، والامتناع من تناول الطعام والشراب حتّى يمزجهما بدموعه، ويغمى عليه في كلّ يوم مرّة أو مرتيّن.

أيجوز للنبي وآله صلّى الله عليه وآله إدخال المشقّة على أنفسهم طمعا بمزيد الثواب، ولايجوز لغيرهم؟! أيباح لزين العابدين أن يقتل بنفسه ما يقتله من الآلام تأثّراً وانفعالا من مصيبة أبيه، ولا يباح لوليّة أن يؤلم نفسه لمصيبة إمامة؟!"[4].

وقال السيد محسن الأمين في جوابه: "أمّا بكاء علي بن الحسينعليهما السلام على أبيه المودّي إلى الاغماء وامتناعه عن الطعام والشراب، فإن صحّ فهو أجنبيّ عن المقام، فإنّ

1 ـ المحاسن: 70/139، وسائل الشيعة 11:80/9.

2 . الإرشاد 2:144.

3 . مناقب آل أبي طالب 4:168.

4 . رسالة التنزيه:65.

هذه أُمور قهريّة لا يتعلّق بها تكليف، وما كان منها اختياريا فحاله حال ما مر"[1] .

أقول: أوّلا: بكاء الإمام السجّاد (عليه السلام) على أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) من الامُور المعروفة والمشهورة عند الجميع، ولا يخلو كتاب أو رسالة تعرّضت لواقعة الطفّ أو لترجمة حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلا ذكرت ذلك بشكل مفصّل، بل إنّ بعض الكتب أفردت له بابا خاصا، حتى إنه عدّ من البكائين الخمسة.

فقد روى الشيخ الصدوق (ت 381 هـ) في "الخصال" في باب "البكاؤون خمسة" بسنده عن محمّد بن سهل البحراني، يرفعه إلى الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعلي بن الحسين.

فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتى صار في خده أمثال الأودية.

وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين.

وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا له: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما.

وأمّا فاطمة فبكت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تأذى بها أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتينا بكثرة بكائك. فكانت تخرج إلى المقابر . مقابر قريش . فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأمّا علي بن الحسين فبكى على الحسين (عليه السلام) عشرين سنة أو أربعين سنة، ماوضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلتُ فداك يابن رسول الله إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: **{إنّما أشكوا بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله**

1 ـ رسالة التنزيه:67.

مالا تعلمون}[1] إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة"[2] .

وروى أيضاً في باب "ذكر ثلاث وعشرين خصلة من الخصال المحمودة التي وُصف بها علي بن الحسين عليهما السلام" عن حمران بن أعين عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال:

"كان علي بن الحسين عليهما السّلام... وما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى، حتىّ قال له مولى له: يابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فقال له: ويحك إنّ يعقوب النبيّ (عليه السلام) كان له اثنا عشر ابناً، فغيبّ الله عنه واحدا منهم فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحْدَوْدَبَ ظهره مُنُ الغم، وكان ابنه حيا فيّ الدنيا. وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني"[3].

وفي "المناقب" لابن شهرآشوب (ت 588 هـ): "كان (عليه السلام) إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتّى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: وكيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش"[4].

وذكر أبو نعيم الأصفهاني (ت 430هـ) في "حلية الأولياء"[5] كلّ الكلام الذي حكيناه عن الشيخ الصدوق وابن شهرآشوب.

ثانياً: وصفَ السيدّ محسن الأمين بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) على أبيه وامتناعه

---

1 ـ سورة يوسف: الآية 86.

2 . الخصال: 272 . 273.

3 . الخصال: 518 . 519.

4 . مناقب آل أبي طالب 4:180.

5 . حلية الأولياء 3:133 . 145.

عن الطعام والشراب بأنّها "اُمور قهرية لايتعلقّ بها التكليف".

ومعنى الأُمور القهريّة: هي الصادرة عن الشخص لا عن اختيار وإرادة.

وهذا مخالف لعقائد الإماميّة، فإنهّم يعتقدون أنهّ لايجوز أن يصدر من المعصوم فعل أو قول من دون اختيار منه وإرادة حتىّ إذا كان مباحاً فضلا عن المحرّم، وصدور المحرّم ولو بلا اختيار ينافي العصمة.

وهل ننسى الأقوال والردود التي وردت على عمر بن الخطّاب حينما قال قولته المعروفة التي جلبت الويلات على الاُمّة الإسلاميّة، وذلك عند مرض النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيث قال: "إنّ النبي ليهجر" فقد رميُ بسهام اللوم والتقريع إلى يومنا هذا; لأنّه نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) صدور لفظ منه لا باختياره.

ثالثاً: السيد الأمين بعد أن وصف بكاء الإمام السّجاد (عليه السلام) وما كان يصاحبه من الآلام بأنهّ من الامورُ القهرية، تدارك الأمر وقال: "وما كان منه اختياريّاً فحاله حال ما مر" أي أن الأفعال الضرورية التي صدرت من الإمام (عليه السلام) حال اختياره، لم يكن يعلم بضررها مسبقاً، لذلك لم تكن محرّمة عليه، وأنهّ لم يتضررّ بها أصلا، فيرتفع الإشكال من أساسه.

وهذا أيضاً غير صحيح; لأنّه (عليه السلام) كان عارفاً بما سيؤول إليه حاله من كثرة البكاء واستمراره عليه يومياً، وامتناعه عن الأكل والشرب مدّة طويلة.

والروايات التي ذكرناها قبل قليل عن الشيخ الصدوق وغيره دالّة على تأثير بكاء الإمام السجاد (عليه السلام) وامتناعه عن

الأكل والشرب على صحّته، حتّى أدتّ إلى ضعف بدنه وشحوب لونه.

امتناع العباس (عليه السلام) عن شرب الماء يوم عاشوراء

قال الشيخ عبد الحسين صادق العاملي: "أينفض العباس الماء من يده وهو على ما هو عليه من شدّة الظمأ تأسيّا بعطش أخيه، ولا نقتص أثره؟!"[1].

وقال السيّد محسن الأمين في جوابه: "أمّا نفض العباس الماء من يده تأسيّا بعطش أخيه، فلو صح لمّ يكن حجة; لعدم العصمة"[2].

أقول: مسألة نفض العباس (عليه السلام) الماء من يده. التي شكّك في وقوعها السيّد الأمين بقوله: فلو صحّ. حكاها العلامة المجلسي (ت 1110 هـ) في "البحار"[3] عن بعض تأليفات أصحابنا، وأرسلها الشيخ فخر الدين الطريحي (ت 1085هـ) في موضعين من "المنتخب"[4] غير متردّد فيها، وذكرها الشيخ عبد الله البحراني(ت القرن الثاني عشر هـ) في "العوالم"[5]، وحكاها عنه الشيخ محمّد باقر البهبهاني (ت 1285هـ) في "الدمعة الساكبة"[6].

والعجب من السيّد الأمين أنّه يشكّك في هذه المسألة في رسالته "التنزيه"،

---

1 ـ رسالة التنزيه:65.

2 . رسالة التنزيه:67.

3 . بحار الأنوار 45:41.

4 . المنتخب: 120 و314.

5 . عوالم العلوم 17:284 . 285.

6 . المجالس السنّية 1:115.

بينما يعترف بها ويذكرها مفصّلة في كتابه "المجالس السنيّة"[1] الذي ألّفه لانتقاء الأحاديث الصحيحة، بل يذهب إلى أكثر من ذلك فينظمها في قصيدته المذكورة في الدرّ النضيد حيث يقول:

أَبَى بأن لا يتوقُ الماء وهو روى ... أخاه ظمآنَ من وردِ له يئسَا

ونحن نذكر هنا ما قاله الشيخ عبد الله البحراني حول هذه المسألة، ثمّ نذكر ما قاله عنها السيّد الأمين.

قال الشيخ البحراني في "عوالم العلوم":

"في بعض تأليفات أصحابنا: إنّ العباس لما رأى وحدته (عليه السلام) أتى أخاه وقال: يا أخي هل من رخصة؟ فبكى الحسين (عليه السلام) بكاءً شديداً ثمّ قال: يا أخي أنت صاحب لوائي واذا مضيت تفوّق عسكري.

فقال العباس: قد ضاق صدري وسئمت الحياة وأُريد أن أطلب ثأري من هؤلاء المنافقين.

فقال الحسين (عليه السلام): فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلا من الماء، فذهب العباس ووعظهم وحذّرهم فلم ينفعهم، فرجع إلى أخيه فأخبره، فسمع الأطفال ينادون العطش، العطش فركب فرسه وأخذ رمحه والقربه وقصد نحو الفرات، فأحاط به أربعة آلاف ممّن كانوا موكلين بالفرات ورموه بالنبال، فكشفهم وقتل منهم على ما روي ثمانين رجلا حتّى دخل الماء، فلما أراد أن يشرب غرفة من الماء ذكر عطش الحسين (عليه السلام) وأهل بيته، فرمى الماء وملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن وتوجّه نحو الخيمة، فقطعوا عليه الطريق وأحاطو به

---

1 ـ الدر النضيد: 130.

من كلّ جانب... إلى آخره"[1].

وقال السيّد محسن الأمين في "المجالس السنيّة":

"لمّا رأى العباس (عليه السلام) وحدة أخيه الحسين (عليه السلام) بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته، قال لإخوته الثلاثة من أُمّه وأبيه عبد الله وجعفر وعثمان: تقدموا لاحتسبكم عند الله، فتقدموا حتىّ قتلوا. فجاء إلى أخيه الحسين (عليه السلام) واستأذن في القتال، فقال له: أنت حامل لوائي، فقال له: ضاق صدري وسئمت الحياة، فقال له الحسين (عليه السلام): إن عزمت فاستقِ لنا ماء، فأخذ قربته وحمل على القوم حتّى ملأ القربة واغترف من الماء غرفة ثمّ ذكر عطش أخيه الحسين (عليه السلام) فرمى بها وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعين[2]

ثالثاً: النقطة الثانية التي أثارها السيّد الأمين حول هذه المسألة هي: أنّ العباس (عليه السلام) لو صحّ وثبت أنه نفض الماء من يده، فلم يكن فعله هذا حجّة; لعدم عصمته (عليه السلام)، وغير المعصوم يصدر منه الذنب ويُعاقب عليه. وهذا يعني أنّه فعل حراماً يستحقّ العقاب عليه; لأنّه آذى نفسه بترك شرب الماء وادخال الضرر عليها.

وهذا غير صحيح قطعاً; فإنّ الإمامية يقولون: إن العباس (عليه السلام) "ليس بواجب العصمة، لا أنه غير معصوم، إذ أن العصمة مرتبة من الكمال الروحي تحصل من الله فيضاً بأسبابها الاختيارية، تمنع من ارتكاب المعصية مع القوة عليها، والاّ لم يكن

1 ـ عوالم العلوم 17:284 ـ 285.

2 . المجالس السنّية 1:115.

لصاحبها على الله ثواب ولا جزاء. ولذلك يثبت كثير من علمائنا العصمة بهذا المعنى لسلمان الفارسي وأضرابه من ثقات أمير المؤمنين (عليه السلام) على تفاوت درجاتهم، ويقولون إنّه مُحدثٌ ومؤيد بالروح.

وأبو الفضل المتوبّي بحجر أبيه أبي الأئمّة المعصومين والمستن بسنة أخويه الحسن والحسين عليهما السلام في نحو أربع وثلاثين سنة، أولى بنيل مراتب العصمة . بهذا المعنى . من سلمان الفارسي وأضرابه"[1] .

وهذا ليس مختصّاً بالإمامية فقط، فإن غيرهم من الفرق والمذاهب الإسلامية يثبتون العصمة بهذا المعنى للكثير من الأقطاب والأبدال والمشايخ والأولياء.

وممّا يدلّ على هذه المكانة السامية التي وصل إليها العباس (عليه السلام) قول الإمام الصادق (عليه السلام) في زيارته له: "لعنَ الله أمّة استحلتْ منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام"[2] . إذ أنّ حرمة الإسلام لا تنتهك بقتل أيّ مسلم مهما كان عظيماً.

وقول الإمام السجّاد (عليه السلام) . كما رواه الشيخ الصدوق في "الخصال"[3] و"الأمالي"[4] .: "إنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى لمنزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة". وهذا عامّ يشمل حتّى علي بن الحسين الأكبر الشهيد يوم الطف.

وقول الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً في زيارته له: "مضيتَ على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين"[5] فإنّ العباس (عليه السلام) لو كان قد ارتكب المحرّم يوم

1 ـ انظر النقد النزيه: 94.

2 . كامل الزيارات:34.

3 . الخصال: 68/101.

4 . أمالي الصدوق: 374.

5 . كامل الزيارات:34.

عاشوراء بنفضه الماء من يده، كيف يعدّه الإمام الصادق (عليه السلام) من الصالحين والمقتدين بهم؟!

وأخيراً نقول: "إنّ العباس (عليه السلام) أراد شرب الماء وهمّ به، لا أنه ترك شربه أساسا; لأن الواجب عليه . وقد ملك الماء . إيصاله إلى إمامه وإمام المسلمين أخيه الحسين (عليه السلام) ليحفظ حشاشته الشريفة، فإنّ حفظها أهم من حفظ كلّ نفس. ولولا أنّ العباس (عليه السلام) علمَ أنه لا يسوغ له الثاني بمقدار زمان شربه غرفة من الماء بيده لشرب الغرفة وزاد عليها،

ولكنّه من صلابة إيمانه ونفوذ بصيرته في دينه كابدَ الظمأ المجهد ولم يتأخرّ لحظة واحدة عن إيصال الماء إلى الحسين (عليه السلام) مقدّمةً للواجب الأهم"[1] .

تقريح الإمام الرضا (عليه السلام) جفونه

قال الشيخ عبد الحسين صادق العاملي: "أيقرح الرضا (عليه السلام) جفون عينيه من البكاء .والعين أعظم جارحة نفيسة . ولا نتأسّى به فنقرح على الأقلّ صدورنا ونجرح بعض رؤوسنا؟!"[2] .

وقال السيّد الأمين في جوابه:

"وأمّا استشهاده بتقريح الرضا (عليه السلام) جفون عينيه من البكاء، فإن صحّ فلابد أن يكون حصل ذلك قهراً واضطراراً لا قصداً واختياراً، والإ لّحرم. ومنَ يعلم أو يظن أنّ البكاء

---

1 ـ انظر النقد النزيه:100.

2 .رسالة التنزيه:65.

يقرح عينيه فلا يجوز له البكاء إن قدر على تركه; لوجوب دفع الضرر بالإجماع وحكم العقل"[1] .

أقول: أوّلا: إشكال السيّد الأمين بتقريح الإمام الرضا (عليه السلام) جفونه من البكاء ورد على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي وفي محلّه; إذ لم نعثر على رواية تؤكّد ذلك.

ولعلّ الأمر قد التبس على الشيخ عبد الحسين من الرواية التي رواها الشيخ الصدوق في "أماليه" عن إبراهيم بن أبي محمود عن الإمام الرضا (عليه السلام) حيث قال في جملة حديث طويل: "إنّ يوم الحسين (عليه السلام) أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا" إذ أنّ هذه الرواية لا تدلّ على أن الإمام الرضا (عليه السلام) قد قرحّ البكاء عينيه، بل هو وسائر الأئمّة (عليهم السلام) تقرّحت جفونهم.

ثانياً: قول السيّد الأمين: إن ذلك "حصل قهراً واضطراراً لا قصداً أو اختياراً، وإلا لحرّم" قد تقدم الكّلام فيه مفصلا في جواب الإشكال السابق "امتناع العباس (عليه السلام) عن شرب الماء يوم عاشوراء".

ثالثاً: عدم عثورنا على رواية في هذا الموضوع لا تعني بالضرورة أنّه لم يحصل للإمام الرضا (عليه السلام) تقريح الجفون من شدّة البكاء، فقد حصل ذلك لأهل البيت (عليهم السلام)، كما أشرنا إليه في البحث عن بكاء الإمام السجّاد (عليه السلام).

الخامسة:

من الأدلّة التي ذكرها السيّد الأمين على حرمة ضرب الرؤوس بالسيوف هو أنّ هذا العمل يؤديّ إلى الموت حيث قال: "وكثيراً ما يؤدّي ذلك إلى

1 ـ رسالة التنزيه:67.

الإغماء بتوقف الدم الكثير وإلى المرض أو الموت وطول برء الجرح"[1].

وقد سبقه إلى هذا الإدّعاء السيّد مهدي بن صالح الموسوي الكاظمي البصري (ت 1358 هـ) وهو أوّل من استشكل على الشعائر الحسينيّة بعد أن سكن البصرة سنة 1343 هـ، حيث كتب عدّة مقالات في بعض الجرائد العراقيّة آنذاك، وأفرد رسالة في ذلك سمّاها "صولة الحقّ على جولة الباطل" قال فيها:

"أمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم; لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم كلّ سنة; لكثرة توقف الدم"[2].

أقول: لقد شاهدتُ كثيراً من المؤمنين في العراق يقومون بهذا العمل سنوياً في العاشر من محرم، وشاهدته أيضا في ايران في بعض السنين، فلم أرَ أحداً قد مات من جراء هذا العمل، ولم أسمع بذلك أيضا لا في العراق ولا في ايران، ولو كان قد حصل ذلك لشاع واشتهر، ولحكاه لنا المعمّرون وذكروا لنا أسماء الذين ماتوا نتيجة لضرب رؤوسهم بالسيوف; إذ أن المجتمع الشيعي في العراق وايران يُجلّ ويحترم الذين يموتون في إحياء شعائر الإمام الحسين (عليه السلام).

فكيف يدّعي السيّد مهدي البصري موت جماعة في كلّ سنة بسبب ضرب رؤوسهم بالسيوف يوم عاشوراء؟! فياحبذا لو ذكر لنا أسماء بعضهم.

قال الشيخ ابراهيم المظفر (ت بعد 1345 هـ) في رسالة "نصرة المظلوم" التي ألّفها للردّ على اشكالات السيّد مهدي الموسوي البصري:

1 ـ رسالة التنزيه:42.

2 . حكاه عنه الشيخ إبراهيم المظفر في رسالته "نصرة المظلوم":32.

"لاريب في أنّ دعوى موت جماعة في كلّ سنة; لكثرة توقف الدم، قوية بلا مرية، فإنيّ منذ أدركت للبُوم مارأيت ولا سمعتُ أنّ واحداً مات بذلك في أي بلدة فضلا عن "جماعة في كل سنة"، ولقد سألت كثيراً ممنّ جاوز السبعين والثمانين من سنيّ عمره من ثقات أهل النجف وكربلاء والكاظمية وغيرهم من علماء البلدان وصلحائهم، وكلٌ أنكر أن يكون رأى أو سمع أن واحداً من اولئك تألمّ ألماً يوجب مراجعة الجراّح أو المضمدّ، فضلا عن موته.

فعسى أن يكون ذلك طيفاً سولته له الأحلام، أو خيالا جسمّته له الأوهام، أو حقيقة واقعة في الجيل الواحد مرةً واحدة اتفاقاً.

كيف لا، وأغلب أفراد موكب السيوف يجرحهم كرؤوسهم بسكّين دقيقة جروحاً خفيفة، يظهر منها الدم بواسطة الضرب على الرأس لا بالجرح بمجرّده، من دون أن يحصل لهم إيلام مزعج; لانّ غرضهم صوري، وهو البروز بصورة القتيل والجريح،

وليس من أغراضهم الإيلام الحقيقي لأنفسهم.

ومع الغض عن هذه الحقيقة الواقعيّة لو تنزّلنا وقلنا: إنّ الجرح يكون بالسيف للإيلام لا غيره، فلا شك أنّ ذلك يوجب التحريم إذا كان مقدّمة لإيجاد الموت، نحو أن يضرب رأسه ليقتل نفسه.

وأمّا الضرب لا لذلك، بل لأمر آخر قد يترتّب عليه في بعض الأحيان لبعض الأفراد الموت من دون أن يكون مقصوداً بالأصالة أو بالتبع ولا لازماً عادياً لضرب نفسه، فإن قواعد الفن لا تقتضي تحريمه البتة، ومجرد الإيلام وإخراج مقدار من الدم لايضرّ بالصحة لا دليل على حرمته"[1].

1 ـ نصرة المظلوم: 32 ـ 33.

وقال السيّد علي نقي اللكهنوي (ت بعد 1348 هـ) في رسالته "إقالة العاثر في إقامة الشعائر" التي ألّفها للردّ على رسالة "التنزيه" للسيد الأمين:

أوّلا: الذي سمعناه وتظافرت به الأخبار من الشيبة والمشايخ الذين مضت أعمارهم وطالت عهودهم بمشاهدة المحاشد الدمويّة، ينكرون على هذه النسبة أشد الإنكار ويقولون: إنّه لم يقع في أيّ جزء من الزمان قديما وحديثا أنّ يموت أحد بضرب السيوف أو المُدى في عزاء الحسين (عليه السلام)، بل المشاهد من حال المباشرين لهذا العمل أنهّم لايرون لعملهم هذا أثراً في شيء من قواهم وأركانهم. فبينما كان الرجل يضرب رأسه بالسيف ويخرّ مغشياً عليه فيحمل على خشبة، يدخل الحمام ويغتسل ولا يرى لذلك الجرح أثراً بادياً في بشرته، فماذا وجه الاستدلال بآية التهلكة على تحريم مثل هذا العمل.

ثانياً: لو سلّمنا أداء ذلك في بعض الأحيان إلى تلف النفس، فهو نادر لايعبأ به، ولا يكون المستتبع له كذلك حراما"[1].

وحكى الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت 1375 هـ) في رسالته "النقد التزيه" عن بعض الأساطين من الفقهاء المعاصرين له في رسالته "المواكب الحسينيّة" قوله: "بلغنا من العمر ما يناهز الستيّن، وفي كلّ سنة تقام نصب أعيننا تلك الحشود الدمويةّ وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين"[2].

السادسة:

لم يكتفِ السيدّ مهدي الموسوي البصري بالإشكال الذي ذكرناه في

1 ـ إقالة العاثر: 23 ـ 24.

2 . النقد التزيه: 115 . 116.

النقطة السابقة، بل وجّه اشكالا آخر لها حيث وصفها بالهمجيّة قائلا:

"ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة . موت جماعة منهم في كلّ سنة لكثرة ترف الدم . فهو فعل همجيّ وحشي... بل هي بنظر

(1)

أرباب العقول والعرفة أفعال وحشيّة ما فيها من ثمرة في التعزية"[1].

وفي هذا الكلام نظر; إذ كونه فعلا همجيّاً وخاليا ً عن أي فائدة بنظر البعض، لا يمكن جعله حجةّ تامة لتحريمه، فعدم اطّلاع المجتمع الغربي على الأسباب والدواعي التي تودّي ببعض المؤمنين بالقيام بهذا العمل والنتائج التي تترتبّ عليه، هي التي جعلتهم يصفونه بالهمجيّة.

وإذا أمكن الطعن به لعدم ترتّب آثار إيجابيّة عليه، فيمكن الطعن ببعض العبادات التي لايعرف الغربيوّن أسبابها ودواعيها ويرونها خالية عن أي فائدة، كأفعال فريضة الحجّ التي يؤديّها الكثير من المسلمين في كل ّعام، فما الحج ّفي نظرهم إلا طوّاف حول بنية، وسعي وهرولة بين رابيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وادي، وتوفير الشعر، وعري البدن إلاّ عن نحو إزار ورداء.

ولا شكّ أنّ غير العارف برموز هذه الأفعال وحكمها وأسرارها يستهزىء بها ويعدهّا ضربا مّن الجنون والتوحشّ، وفعلا من أفعال الهمجيّة. وقد وقع الإشكال على أفعال الحجّ والاستهزاء به في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) وغيره من الأئمة (عليهم السلام) من قبل بعض الزنادقة، كعبد الكريم ابن أبي العوجاء، وعبد الله الديصاني وغيرهما.

فهل يصحّ للمسلمين العارفين بأهداف الحجّ وآثاره الإيجابية الكثيرة المترتبةّ عليه أن يمنعوه بمجرد ّعده عّند البعض همجيّاً؟!

---

1 ـ حكاه عنه في رسالة نصرة المظلوم:32.

السابعة:

إضافة لكلّ ما سبق فإنّ الكثير من مواكب ضرب الرؤوس بالسيوف كانت تقام في بيوت بعض مراجع الدين وبمرأى ومسمع منهم. وقد تحدّث الشيخ ابراهيم المظفر في رسالته "نصرة المظلوم" التي ألفّها سنة 1345 هـ عن هذا الموضوع بشكل جيّد حيث قال:

"أمّا مواكب السيوف ولطم الصدور في الطرقات فحدّث ولا حرج كثرة واستدامة، مع أن النجف من بين سائر البلدان مازالت منقسمة بين فئتين متقابلتين بل فئات كثيرة، وكثيراً ما يحدث الهرج فيما بينهم، ولكنّه لم يوجب منع العلماء إياهم من إقامة الشعائر، نعم ربما منعتهم الحكومة محافظة على الأمن العام حتّى يتكفّل الرؤساء بعدم حدوث شيء من ذلك.

والسيّد محمد حسن الشيرازي نزيل سامراء .وهو الذي انتهت إليه رئاسة الإماميّة في عصره في جميع العالم، وعدُ مَجدداً للمذهب الجعفري على رأس القرن الثالث عشر، كما أنّ الوحيد البهبهاني محمد باقر بن محمّد أكمل مجددّه في القرن الثاني عشر . قد كان أنفذ كلمة على عموم الشيعة، ملوكها وسوقتها من كلّ سابق ولاحق، وقد يوجد اليوم في كلّ بلدة كثير ممنّ يعرف اشتهاره ونفوذه، وكان مع علمه بوقوع الشبيه، وخروج المواكب وما يحدث فيها من حوادث، وبضرب القامات والسيوف في بلدان الشيعة في العراق وايران، وعدم وقوع الإنكار منه أصلا، تقام جميع الأعمال المشار إليها في سامراء . محلّ إقامته . نصب عينيه بلا إنكار.

وقد يظنّ الظانّ لأوّل وهلة أنه(قدس سره) لا يرى رجحان ذلك بالنظر إلى حال محيطه; لأن جّميع من في البلدة . عدا النزلاء . من غير الفرقة الجعفرية، وفيها أخلاط من غير المسلمين، وفي ذلك مجال الاستهزاء والسخرية.

وقد سألتُ كثيراً ممنّ كان يقطن سامراء في أيامه، فكان أقلهمّ مبالغة في تعظيمه لشأن المواكب والشبيه، شيخنا المتقن المتفنّن الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي، وعنه أنقل ما يلي:

كان الشبيه يرتّب يوم العاشر في دار الميرزا(قدس سره) ثمّ يخرج للملأ مرتباً، وكذلك موكب السيوف كان أهله يضربون رؤوسهم في داره ثمّ يخرجون، وكانت أثمان أكفانهم تؤخذ منه، وما كان أفاد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم; لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قول وفعل.

ودام هذا كلّه بجميع ما فيه إلى آخر أيام خلفه الصالح المرحوم الميرزا محمدّ تقي الشيرازي(قدس سره)، وكان الشبيه يرتبّ أيضاً في داره، ومنه تخرج المواكب وإليه تعود، بيد أنّ موكب السيوف لم يتألفّ غير مرة; لأن القائمين به .وهم الأتراك لا غيرهم . كانوا يومئذ قليلين، ولقلّتهم استحقروا موكبهم فتركوه من تلقاء أنفسهم. انتهى كلام البلاغي.

إن بَعدُ عليك عهد الشيخ الأنصاري والسيدّ الشيرازي، فهذا بالأمس الأقرب الشيخ محمد طه نجف(قدس سره)، يرى في النجف بل العراق جميع الأعمال المشار إليها، وهو أقدر على المنع فلا يمنع. إنّ المواكب جميعاً حتىّ موكب القامات تدخل

إلى داره، وهو لا يحرّك شفته بحرف من المنع، بيد أنّه يلطم معهم ويبكي وهو واقف مكانه.

وكذا السيّد محمّد بحر العلوم الطباطبائي يقام في داره أعظم وأفخم مأتم في النجف... وبها يضرب أرباب السيوف رؤوسهم من لدن أيام السيّد علي بحر العلوم أو قبله حتّى اليوم، ومنها تخرج إلى الشوارع واليها تعود بلا إنكار ولا استيحاش.

وإن بعد عليك هذا العهد، فهذا المرحوم خاتمة الفقهاء السيّد محمّد كاظم

اليزدي الذي كانت له السلطة الروحانيّة الفذّة على عموم الشيعة، وكانت التمثيلات تقام نصب عينيه، وكافة المواكب تخترق الشوارع بين يديه، ولم يؤثر عنه منع شيء من ذلك، وهو بمكان من ثبات الرأي ونفوذ الكلمة"[1].

الثامنة:

حكى الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت 1375 هـ) عن بعض الأساطين من الفقهاء المعاصرين له قوله عن ضرب الرؤوس بالسيوف:

"لأريب أنّ جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده في حدّ ذاته من المباحات، ولكنّه قد يجب تارة وقد يحرم اخرى. وليس وجوبه أو حرمته إلاّ بالعناوين الثانوية الطارئة عليه، وبالجهات والاعتبارات.

فيجب لو توقّفت الصحّة على إخراجه، كما في الفصد والحجامة.

وقد يحرم، كما لو كان موجباً للضرر والخطر من مرض أو موت.

وقد تعرض له جهة محسّنة ولا توجبه، وناهيك بقصد مواساة سيّد أهل الإباء، وخامس أصحاب العباء، وسبعين باسل من صحبه وذويه، حسبك بقصد مواساتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإظهار التفجّع والتلهّف عليهم، وتمثيل شبح من حالتهم مجسّمه أمام محبيهم، ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهات محسّنه وغايات شريفة، ترتقي بتلك الأعمال من أخسّ مراتب الحطّة إلى أعلا مراتب الكمال.

أمّا ترتّب الضرر أحيانا يُرجى الدم المؤديّ إلى الموت أو إلى المرض المقتضي لتحريمه، فذاك كلام لا ينبغي أن يصدر من ذي لبّ، فضلا عن فقيه أو متفقّه:

1 ـ نصرة المظلوم: 46 ـ 47.

أمّا أولا: فقد بلغنا من العمر ما يناهز الستين، وفي كل سّنة تقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدموية، وما رأينا شخصا ماتّ بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين.

وأمّا ثانياً: فتلك الامُور على فرض حصولها إنما هي عوارض وقتية ونوادر شخصية، لا يمكن ضبطها ولا جعلها مناطا لحكم أو ملاكاً لقاعدة. والذي علينا أن نقول: إنّ كل من يخاف الضرر على نفسه من عمل من الأعمال، يحرم عليه ارتكاب

ذلك العمل.ولا أحسب أنّ أحداً من الضاربين رؤوسهم بالسيوف يخاف من ذلك الضرر على نفسه ويقدم على فعله، ولئن حرم ذلك العمل عليه فهو لا يستلزم حرمته على غيره. وبالأصل الذي شيّدناه . من أنّ المباح قد تعرض له جهات محسنة . يتضّح لك الوجه في جميع تلك الأعمال الغوائيّة في المواكب الحسينيّة"[1] .

التاسعة:

تعرَّض سماحة القائد آية الله السيّد علي الخامنئي في أوائل شهر محرمّ سنة 1415 هـ إلى ظاهرة ضرب الرؤوس بالسيوف، وأمَر بمنعها، وذلك في خطابه أمام جمع من رجال الدين في مدينة ياسوج.

والظاهر أنّ سماحته نظرَ إلى الحكم الثانوي لهذا العمل بلحاظ الظرفين الزماني والمكاني حيث إنّ وسائل الإعلام الغربيةّ تعمل الآن وبكلّ مالديها من طرق حديثة على تشويه مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، لذلك فإنّ سماحته شخّص بأن المضارّ المترتّبة من جراء هذا العمل أكثر من فوائده في هذا العصر، إذ أنّ مردوده السلبي ينعكس على عموم المذهب، فقام بمنعه وذلك بحكم ولايته العامّة.

---

1 ـ النقد النزيه: 114 ـ 115.

الإشكال الخامس

استعمال آلات اللهو في المواكب الحسينيّة

قال السيّد محسن الأمين: "ومنها . أي ومن الأمُور المنكرة في المواكب الحسينية . استعمال آلات اللهو كالطبلَ والزمرَ "الدمام" والصُّوج النحاسيّة، وغير ذلك، الثابت[1] تحريمها في الشرع، ولم يستثنِ الفقهاء من ذلك إلاّ طبل الحرب والدف في العرس بغير صنج"[2] .

وقال في مكان آخر من هذه الرسالة في أثناء ردّه على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي: "وحسنَّ فيها . أي في رسالته "سيماء الصلحاء" . ما يفعله بعض الناس أيام عاشوراء، من... ودقّ الطبول وضرب الصوج والنفخ في البوقات "الدمام" وغير ذلك"[3] .

وبيان هذه العبارة في عدّة نقاط:

الأُولى:

في العبارتين السابقتين وردت كلمة "الدّمام" بعد كلمتي "الزمر" و"البوقات"، وهي إمّا خطأ مطبعي أو سهو من قلمه الشريف; إذ لا معنى لها في كلا الموردين السالفين.

1 ـ من هنا إلى آخر العبارة لم ترد في رسالة التنزيه المطبوعة المتوفّرة لدينا، حكاها عنها الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في رسالته "النقد النزيه": 117 والشيخ محمّد الگنجي في رسالته "كشف التمويه": 46.

2 .رسالة التنزيه:43.

3 .رسالة التنزيه:45.

الثانية:

في العبارة الأُولى عدَّ السيدّ الأمين "الزمرَ" من ضمن آلات اللهو، وهو خطأ واضح، والظاهر أن مقصوده "المزمار"، إذ أن "الزَمْر" . مصدراً . هو التغنيّ بالمزمار.

قال الجوهري (ت 395 هـ) في "الصحاح": "المِزْمار، واحد المزامير، زمَرَ الرجل يزمُر وَيَزْمُر زمْراً فهُو زَمّار"[1] .

وقال الفيروز آبادي (ت 817 هـ) في "القاموس المحيط": "زَمَرَ الرجل يُزمِرُ مِنْ باب ضرب زمرا: إذا ضَرب المزمَارَ، وهو بالكسر: قصبة يُزمر بها وتُسمّى الشبابة، والجمع مزامِيرَ"[2] .

وقال الفيومي (ت 770 هـ) في "المصباح المنير": "المِزْمَار: آلة الزمرّ"[3] .

وقال ابن منظور (ت 711 هـ) في "لسان العرب": "الزَّمْرُ بالمزمِار، زمرَ يزمَر وَيَزْمِرُ زمْراً وزُمُيراً وزِمّانا: غنىً في القصب"[4] .

الثالثة:

أجمع المسلمون على حرمة استعمال الات اللهو والطرب مطلقاً، سواء كانت في شعائر إسلاميّة أم في غيرها، ووردت في ذلك روايات كثيرة:

منها: ما رواه الشيخ الكليني في "الكافي" بسنده عن سماعة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "لمّا مات آدم شمت إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض، فجعل ابليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم (عليه السلام) فكلّ ما كان في الأرض من هذا

1 ـ الصحاح 2: 671 "زمر".

2 . القاموس المحيط 3:318 "زمر".

3 . المصباح المنير: 255 "زمر".

4 . لسان العرب 4:327 "زمر".

الضرب الذي يتلذّذ به الناس فإنّما هو من ذلك"[1] .

ومنها: ما رواه الشيخ الكليني أيضاً بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنهاكم عن الزَفْن[2] والمزمار، وعن الكوبات[3] والكوبات[4] "[5] .

ومنها: ما رواه الشيخ الكليني أيضاً بسنده عن كليب الصيداوي أنّه قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: "ضرب العيدان ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الخضرة"[6] .

ومنها: ما رواه الشيخ الكليني أيضاً بسنده عن موسى بن حبيب عن علي بن الحسينعليهما السلام أنّه قال: "لا يقدّس الله امةً فيها بربط يقعقع وناية تفجع"[7] .

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن عبد الأعلى عن نوف عن الإمام علي (عليه السلام) أنّه قال: "يا نوف إياك أن تكون عشّاراً، أو شاعراً، أو شرطياً، أو عريفا، أو صاحب عربطة: وهو الطنبور، أو صاحب كوبة: وهو الطبل"[8] .

ومنها: ما أخرجه ورّام بن أبي فراس في "تنبيه الخواطر" أنّه قال: قال (عليه السلام): "لا

---

1 ـ الكافي 6:431/3، وسائل الشيعة 17:313/5.

2 . الزَفْنُ: الرقص. الصحاح 5:2131 "زفن".

3 . الكوبة: الطبل الصغير المُخَصَّرُ، معرب. المصباح المنير: 543 "كوب".

4 . الكَبَرُ: الطبلُ له وجه واحد. المصباح المنير: 524 "كبر".

5 . الكافي 6:432/7، وسائل الشيعة 17:313 . 314/6.

6 . الكافي 6:434/20، وسائل الشيعة 17:313/3.

7 . الكافي 6:434/21، وسائل الشيعة 17:313/4.

8 . الخصال: 337/40، وسائل الشيعة 17:315/12.

تدخل الملائكة بيتاً فيه خمر أو دفّ أو طنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، وترفع عنه البركة"[1] .

الرابعة:

ذكر السيّد الأمين في العبارتين السابقتين ثلاثة مصاديق لآلات اللهو والطرب وهي: الطَبَلْ، والبوق، والصنجّ. والسؤال الذي يرد هنا: هل أنّ هذه الآلات الثلاث التي تُستعمل في المواكب الحسينية يطلق عليها أنها آلات لهو وطرب، حتى يكون استعمالها محرّماً أم لا؟ فنقول:

الطَبَلُ:

اسمُ جنس يشمل الطبول المحرّمة وغيرها، إذ ليس كافةّ الطبول محرمة في الشريعة، والمحرم منها ما يستعمله المخنثونّ وأهل اللهو والطرب، وهو الذي يُسمّى في اللغة "كوبة".

(2)

قال الجوهري: "الكوبة: الطبل الصغير المُخَصَّر"[1].

وقال الفيّومي: "الكوبة: الطبل الصغير المُخَصَّر، مُعرب"[3].

وقال الفيروز آبادي: "الكوبة: الطبل الصغير المُخَصَّر"[4].

وقال العلاّمة الحلّي (ت 726 هـ) في "تذكرة الفقهاء" في كتاب الوصايا في باب مسائل الوصيّة بالأعيان:

"مسألة: لفظ الطبل يُستعمل في طبل الحرب الذي يضرب به للتهويل، وعلى طبل

1 ـ انظر وسائل الشيعة 17: 315/13.

2 . الصحاح 1:215 "كوب".

3 . المصباح المنير: 543 "كوب".

4 . القاموس المحيط 1:131 "كوب".

الحجيج والقوافل الذي يضرب به لإعلام النزول والارتحال، وعلى طبل العطّارين: وهو سفط لهم، وعلى طبل اللهو: وقد فُسِّرَ بالكوبة التي يضرب بها المخنثون، وسطها ضيق 8 وطرفاها واسعان، وهي من آلات الملاهي"[1].

وقال المحقّق الكركي (ت 940 هـ) في "جامع المقاصد" في باب الوصيّة في شرح قول العلاّمة (ولو أوصى بطبل لهو بَطَلَ):

"لفظ الطبل يقع على طبل الحرب، الذي يُضرب به للتهويل، وعلى طبل الحجيج والقوافل، الذي يُضرب لإعلام النزول والارتحال، وعلى طبل العطّارين وهو سفط لهم، وعلى طبل اللهو: وفُسِّرَ بالكوبة التي يضرب بها المخنثون، وسطها ضيق وطرفاها واسعان، وهي من آلات الملاهي"[2].

وحكى الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي عن الشيخ محمّد عبده أنّه قال: "طبل اللهو: هو المعروف بالدربكة "دنبركة"، والظاهر أنّ هذه اللفظة حبشية، فإنّ الزوج والحبش هم الذين ألقوها في العراق ومصر"[3].

ومن كلّ ما تقدّم يعلم أن الطبل الذي يستعمل في المواكب الحسينية والذي شاهدناه في العراق وايران . ليس محرما؛ لأنّه ليس من الطبول المحرّمة التي ذكرها الفقهاء، ولا يُستعمل لأجل اللهو والطرب، بل لانتظام المواكب والإعلان عن سيرها ووقوفها.

1 ـ تذكرة الفقهاء 2:483.

2 . جامع المقاصد 10:107.

3 . انظر النقد التزيه: 119.

البوق:

هو الآلة المستعملة في بعض المواكب الغوائيّة، ويسمّى بلسان العامة في عوف العراقيين "البوري" أو "البزان". وهو غير المزمار المنهي عنه; إذ أنّ البوق آلة ينُفخ فيها نحو النفخ في النار والنفخ في الزق، لكنها تصوُت بالنفخ بها تصويتا حادًا هجّينًا مرتفعاً.

والمزمار: آلة يزمر فيها، أي يتغنّى بها، ولا ينفخ فيها; ولذلك يقال: نفخَ في البوق كما يقال نفخَ في الصور، ولا يقال: زمَّر في الصور وغنّى في البوق. والفوق واضح بين الزمرَ الذي هو صوت مقطع، وبين النفخ المجرد عن تقطيع الصوت.

وهناك فوق آخر بين البوق والزمر هو: أنّ البوق كان سابقاً يتُخذ من القرون، وهو لازال باقيا للّيوم عند بعض السواحّ المتسوّلة من الهنود.

ففي "مجمع البحرين": "البوق: هو القَرْنُ الذي ينفُخْ فيهُ"[1].

وفي "القاموس المحيط": "الصُور: هو القَرْنْ يُنفخُ فيهُ"[2].

إذاً البوق: هو الصور الذي ينُفْخَ فيهُ ولا يتغنى بّه.

وفي "المنجد": "الصُور: القَرْنْ يُنفخُ فيهُ، والبوق: شيء مجوف مستطيل ينفخ فيه"[3].

وقد صُنع البوق في العقود الأخيرة من النحاس حيث يكون أرفع صوتاً وأشدّ

---

1 ـ مجمع البحرين 2:142 "بوق".

2 . القاموس المحيط 2:76 "صور".

3 . المنجد: 439 و55.

هجنة.

ومهما تغيّرت مادة البوق، سواء كانت من القرون أو النحاس، فيبقى هو ذلك الصور القرنيّ الذي لازمر فيهُ ولا غناء. ولذلك يستعمل في السلم والحرب للتنبيه على الأوقات، وحشر الجنود المتفرّقة، وتسيير مواكب الرجال المجنّدة.

أمّا آلة المزمار فقد كانت قديماً تتُخذ من القصب، وهي لاتزال باقية للبوم عند الأعراب في البوادي، ويسُمى ذو الانبوبُ الواحد منها "مُفرد"، وذو الانبوبين "مطبق"، يتغنوّن به غناء مطرباً، كما يتغنىّ بالآلات الموسيقية ذات الأوتار.

في "القاموس المحيط": زَمَرَ زمرا: غنىّ في القصب"[1].

وفي "مجمع البحرين": زَمَرَ الرجل يُزمِرَ، مُن باب ضرب زمرا: إذاً ضرب المزمارَ، وهو بالكسر: قصبة يزمر بهُا"[2].

وفي "المنجد": "الزمّارة: القصبة التي يزُمَرّ فيها، والمزمار: آلة يزمر فيها، وزمر زمرا: غنّى بالنفخ في القصب"[3].

ويُصنع المزمار الآن من بعض المعادن التي تكون أقوى من القصب وأحكم منه.

ومضافاً إلى ما سبق فإنّ هنالك فرقا آخر بين البوق والمزمار، وهو: أن المزمار لايكون إلا بثّقوب كثرة من أربعة إلى

ثمانية، غير الثقب الذي يلي الشفة، ولكلّ

1 ـ القاموس المحيط 2:41.

2 . مجمع البحرين 3: 318.

3 . المنجد:305.

واحد من تلك الثقوب نغمة خاصّة تخالف نغمة الثقب الآخر. أمّا البوق فلايكون إلا بثقب واحد في أسفله غير فوهته العليا، ولذلك لاتكون له نغمة،ولا يكون الصوت الخارج منه إلاّ واحداً غير مختلف.

أمّا صلابته وهجنته فإنّها تستند إلى سعة فوهته حسب تركيبه الطبيعي، فإنّه كلماّ طال ودق َموَّضع النفخ به واتسعتّ فوهته العليازاد صوته ارتفاعاً وهجنة. وربمّا كان لالتوائه مزيد دخل في شدةّ هجنته: إما ّلزيادة طوله بذلك الالتواء، واما ٍلدوران الصوت به حسب التوائه.

ومن كلّ ما تقدمّ يتضّح أن البوق الذي يستُعمل في المواكب الغزائية ليّس محرما;ّلأنّه ليسّ مزمارا،ولايعًد منُ آلاُت اللهو والطرب،والصوت المنبعث منه لا يُطرب السامع بل يزُعجه.

الصَّنْجُ:

مفردٌ،وجمعه صنُوُج، يسمُيهّ العراقيونّ "طوس"،وهو اسم يشمل الصنوجُ المحرمةوغيرها، إذ ليس جميع أنواع الصنوج ُ ُ محرّمة في الشريعة.وهو على عدةّ أنواع:

(1) آلة بأوتار.

(2) قطع نحاس تعلّق في إطار الدفّ.

(3) آلة تُتخّذ من صفرُ، يضُرب إحداهما بالاخرُى.

(4) آلة يتّخدها الراقصون في أطراف أصابعهم يصفقّون بها، تسُميّ عند أرباب الملاهي زّنك"،وهو معربّ "صنج".

في "الصحاح": "الصَّنْجُ الذي تعرفه العرب:وهو الذي يتخُذّ من صفرُ، يْضرُب ْ َ

أحدهما بالآخر.وأمّا الصنَّجْ ذُو الأوتار فيختص بّه العجم،وهما معربانّ"[1] .

وفي "القاموس المحيط": "الصَّنْجُ: شيء يتخُذّ من صفرُ، يْضرُب أحدهما على الآخر،وآلة بأوتار يضرب بها، معرب"[2] .

وفي "مجمع البحرين": "الصَّنْجُ من آلات اللهو:وهو شيء يتخُذّ من صفرُ، يْضرب أحدهما بالآخر،وآلة بأوتار يضرب بهما.والجمع صنُوج، مثل فلس وفلوس. قال بعض المحققّين: ولم نعثر بجمعه على "صوَانجِ" في كلام أهل اللغة،وانما ٍاستفدناه من الحديث،وهو الصواب"[3] .

والصُنُوج التي تستعمل في المواكب الحسينية هي النوع الثالث من الأنواع التي ذكرناها قريبا، أي أنه آلة تتخذ من صفر أو حديد، يضرب إحداهما بالأخرى. وهو ليس من آلات اللهو والطرب قطعاً; إذ أن الصوت المنبعث منه لايؤدي إلى طرب سامعه وتلذّذه به، بل يؤدّي إلى تنفرّه منه.

وأصحاب المواكب الغزائيّة يستعملونه لأجل انتظام الموكب والإعلان عن سيره أو توقفّه; لذلك فإنهّم لايستعملونه في الغزاء الذي يُقام في الحسينيات والبيوت; لا ستغنائهم عنه.

وقد حكى الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت 1375 هـ) عن العلاّمة الفاضل السيدّ مصطفى الطالقاني والمقدسّ الورع الشيخ حسن مطر أنّهما قالا:

---

1 ـ الصحاح 1:325 "صنج".

2 . القاموس المحيط 1:204 "صنج".

3 . مجمع البحرين 2:303 "صنج".

"إنّ أوّل من استعمل الصنُوجُ في المواكب الغزائية هو العلامة المجلسي (ت1110 هـ)، حيث أمر باستعمالها في قرى اوان في مواكب اللطم التي كانت تخترق الأزقّة; ليسمع صوتها أهل القرى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم للغزاء ليشاركوهم: إمّا في الاجتماع معهم، وإمّا بإقامة غزاء آخر في قريتهم"[1] .

إضافة لذلك فإنّي لم أعثر على رواية تدلّ على حرمة هذا النوع من الصنُوج المستعمل في المواكب الغزائية; لأنه ليس من آلات اللهو والطرب. نعم، أخرج الشيخ منتجب الدين الطريحي (ت 1085 هـ) في "مجمع البحرين" رواية ربّما تدلّ على حرمة استعماله وهي: "إياك والضرب بالصوانج فإنّ الشيطان يركض معك والملائكة تنفر عنك"[2] .

وعلى هذه الرواية عدّة ملاحظات:

أوّلا: أنهّا مرسلة، ولم يذكر الطريحي المصدر الذي أخذها منه ولا طريقه إليها.

ثانياً: لم ترد هذه الرواية وبهذا اللفظ في أيّ كتاب حديثي وغيره من كتبنا المعتبرة.

ثالثاً: ورد قريب من هذه الرواية في بعض مصادرنا وفيها لفظ "الصوالج" بدل "الصوانج"، ففي "أصل زيد النرسي": "وأمّا ضربكَ بالصوالج فإنّ الشيطان معك يركض والملائكة تنفر عنك"[3] .

وحكاه عنه المحدّث النوري في "المستدرك" مع زيادة فيه، فقد روى عن

---

1 ـ النقد النزيه: 136 ـ 137.

2 . مجمع البحرين 2:313 "صنج".

3 . أصل زيد النرسي: 51.

الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال:

"وإنّ المؤمن لفي شغل عن ذلك، شغله طلب الآخرة عن الملاهي . إلى أن قال .وإنّ المؤمن عن جميع ذلك لفي شغل، ماله وللملاهي، فإنّ الملاهي تورث قسوة القلب وتورث النفاق.وأمّا ضربك بالصوالج فإنّ الشيطان يركض معك والملائكة تنفر عنك،وإن أصابك شيء لم تؤجر، ومن عثرت به دابته فمات دخل النار"[1] .

وفي "الفقه المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام) ":

"واتّقِ اللعب بالخواتيم،والأربعة عشر، وكل قمار حتىّ لعب الصبيان بالجوز واللوز والكعاب،واياكّ والضربة بالصولجان فإنّ الشيطان يركض معك والملائكة تنفر عنك، ومَن عثرت به دابته فمات دخل النار"[2] .

ورواه أيضاً باختلاف يسير في بعض الألفاظ الشيخ الصدوق في "الفقيه"[3] .

ومن هذا يتّضح أنّ الوارد في الرواية والمنهي عنه هو "الصوالج" لا "الصوانج".

قال الجوهري في "الصحاح": "الصَولجَان، بفتح اللام: المحِجْنَ، فارسي معرب،والجمع الصوالجَة،والهَاء للعجمة"[4] .

وقال ابن منظور في "لسان العرب": "الصَولجَان: عصا يعوُج طرفها تضرُب بها الكرة واللاعب على ظهر دابة، فرس أو غيرها"[5] .

---

1 ـ مستدرك وسائل الشيعة 13: 216/15163.

2 . الفقه المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام):284.

3 . الفقيه 4:42/135.

4 . الصحاح 1:325 "صلج".

5 . لسان العرب 2:310 "صلج".

الإشكال السادس

تشبيه الرجال بالنساء

قال السيّد الأمين: "ومنها . أي ومن الامُور المنكرة في الشعائر الحسينيّة . تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل[1] ، وتحريمها ثابت في الشرع"[2] .

أقول: المحرّم شرعاً هو أن يتأنثّ الرجل ويعد نّفسه امرأة، ويتحقق ّذلك بأن يخرج الرجل عن زيه وّيأخذ بزّياء النساء.

أمّا مجرّد لبس ملابسهن لوقت قصير لأجل منفعة معتدّ بها عرفا كًالتمثيل، فلم يحكم بحرمته أغلب فقهائنا، وقد بين ّذلك

الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت 1375هـ) إذ قال:

"وبهذا أفتى الميرزا القمّي في "جامع الشتات"، وشيخنا المحقّق الأنصاري في "المكاسب"، وأكثر علماء عصرنا، منهم: شيخنا المحقّق العلاّمة آية الله الميرزا محمدّ حسين النائيني الغروي، والشيخ الفقيه العلامةّ المتفنن ّصاحب المصنفاتّ الكثيرة حجّة الإسلام الشيخ عبد الله المامقاني النجفي، وغيرهم"[3] .

ويدلّ على هذا عدةّ روايات:

منها: ما رواه الشيخ الكليني في "الكافي" والشيخ الصدوق في "علل الشرائع":

---

1 ـ إلى هنا تنتهي عبارة السيّد الأمين في النسخة المطبوعة لرسالة التنزيه المتوفّرة لدينا، وباقي العبارة حكاها عنها الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في "النقد النزيه": 143، والشيخ محمّد الگنجي في "كشف التمويه":50.

2 .رسالة التنزيه:43.

3 . النقد النزيه: 144.

أنّ علياً ً(عليه السلام) رأى رجلا به تأنيث في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له: "اخرُج من مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنّي سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لعن الله المتشبهّين من الرجال بالنساء والمتشبّهات من النساء بالرجال"[1] .

ومنها: ما رواه سماعة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال عن الرجل يجرّ ثيابه: "إنيّ لأكره أن يتشبه ّبالنساء"[2] .

ومنها: ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام): "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يزجر الرجل أن يتشبّه بالنساء، وينهى المرأة أن تتشبّه بالرجال في لباسها"[3] .

وعلى هذا فإنّ تشبيه الرجال بالنساء الذي يجري في يوم عاشوراء عند تمثيل واقعة الطف لايدخل تحت عنوان التشبيه المحرّم; لأنّ فاعله لايقصد به التأنثّ وعد نّفسه امرأة، بل الذي يحصل هو تجليل الرجل بإزار أسود "عباءة" من قرنه إلى قدمه وهو بهيئته وملابسه الرجاليّة، ليتراءى للناظرين لوقت قصير جداً أنهّ امرأة، حيث يقوم بتمثيل دور إحدى النساء الحاضرات في واقعة الطف; وذلك من أجل إبكاء الحاضرين وتذكيرهم بما جرى في يوم عاشوراء.

---

1 ـ الكافي 8:71/27، علل الشرائع:602/63.

2 .وسائل الشيعة 5:25/1.

3 .وسائل الشيعة 5:25/2.

الإشكال السابع

تمثيل النساء

قال السيّد الأمين:

"ومنها . أي ومن الأُمور المنكرة في الشعائر الحسينيّة . إركاب النساء الهوادج مكشفّات الوجوه، وتشبيههن بّبنات رسول الله (صلى الله عليه وآله). وهو في نفسه محرّم; لما يتضمنّه من الهتك والمثلة، فضلا عماّ إذا اشتمل على قبيح وشناعة اخُرى، مثلما جرى في العام الماضي في البصرة من تشبيه امرأة خاطئة بزينب (عليها السلام)، وإركابها الهودج حاسرة على ملأ من الناس كما سيأتي [1] [2] ".

أقول: كان السيّد مهدي الموسوي الكاظمي البصري (ت 1358 هـ) قد أثار هذا الإشكال قبل السيّد الأمين في ما كتبه في بعض الصحف العراقيّة حول الشعائر الحسينيّة، وأفرد له أيضا رًسالة مستقلةّ سماهاّ "صولة الحق علّى جولة الباطل" [3] .

فإنّ الذي ذكره السيدّ الأمين من "إركاب النساء الهوادج مكشفّات الوجوه، وتشبيههن بّبنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) " لم نُشاهده لا في العراق ولا في ايران، ولم نسمع بأنّ ذلك يحدث في باقي المدن الشيعيةّ. واذا وقع صدفة مرّةوّاحدة وفي مكان معيّن، فهل يجوز تعميم ذلك وطرحه كإشكال كبير يراه السامع له ويتصورّ أنّ هذا الأمر ملازم لكافةّ الشعائر الحسينيةّ وفي جميع المدن الشيعيّة؟!

1 ـ كما سيأتي: لم ترد في النسخة المطبوعة لرسالة التنزيه المتوفّرة لدينا، أثبتناها من رسالتي "النقد النزيه": 147 و"كشف التمويه":53.

2 .رسالة التنزيه:43.

3 . انظر رسالة نصرة المظلوم: 18.

إنّ الذين يقومون بتمثيل واقعة الطفّ يوم عاشوراء إذا أرادوا بيان المآسي والأحزان التي حلتّ بالنساء الحاضرات في واقعة الطفّ، فإنهّم لم يستعينوا بالنساء لأداء هذه الأدوار، بل يقوم بها رجال يرتدون إزارا أسودا "وعباءة".

أمّا الحادثة التي ذكرها السيدّ الأمين ومن قبله السيدّ مهدي البصري من تشبيه امرأة خاطئة بزينب (عليها السلام)، وإركابها الهودج حاسرة على ملأ من الناس، فقد أنكر وقوعها بعض علماء البصرة، وأيّد وقوعها البعض الآخر مرّةواحدة في البصرة سنة 1341هـ.

وقد عرضها كلّ من كان حاضراً فيها، وتمّ إزال تلك المرأة من الهودج بسرعة، وقد أوضح ذلك بعض علمائنا الذين

عاشوا في ذلك الوقت:

قال الشيخ ابراهيم المظفّر في رسالته "نُصرة المظلوم" . التي انتهى من تأليفها سنة 1345 هـ . في معرض ردّه على السيّد مهدي البصري:

"إنّ هذا الشبيه . تشبيه امرأة خاطئة بزينب (عليها السلام) . لم يقع في البصرة على طوال السنين إلاّ منذ أربعة أعوام، شهده غير واحد من الصلحاء وأجلب على منعه، فمنعه مَن له قوّة المنع من ساعته. وهذا الرجل . أي السيّد مهدي البصري . يرى بكلامه كلّ أحد أنّ ذلك التشبيه المستهجن هو من الرسوم العاديّة حتىّ في عامه هذا، وإلا فمّا هو معنى المنع عن شيء مضى وما عاد له نظير أبداً لا في البصرة ولا في غيرها"[1] .

وقال الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في رسالته "النقد النزيه" . التي ألفّها سنة 1347 هـ . في معرض ردّه على السيّد الأمين:

1 ـ نصرة المظلوم: 19.

"وأمّا ما نقله من تمثيل امرأة خاطئة بزينب (عليها السلام) في عامه الماضي .وهو في سنة 1347 هـ . فينبغي أن يسامحه كلّ بصريّ وقريل في البصرة، كما أنهّم من قبل سنتين سامحوا منَ نقل أنه وّاقع في البصرة في عامه الماضي أيضا وهوَ في سنة 1345 هـ، فكم من عام ماض إلى عام ماض إلى سبع سنين ماضية لم يقع فيها في البصرة شيء من ذلك.

نعم، في سنة 1341 هـ ركبت تلك الخاطئة من تلقاء نفسها في أحد المحامل التي تُقاد إلى التمثيل خالية أو ممتلئة بالأطفال الممثّلين للسبي، من دون أن تتشبه بامرأة، ولا جعلها أحد شبيهاً بها، بيدَ أنَ منّ رآها يظن ذلك. ولم يمض على ركوبها بضع دقائق حتّى انُزلت من المحمل بلا مدافعة منها; لأنهّا لم تعرف أن ركّوب مثلها من الامورُ الشائنة"[1] .

وقال الشيخ عبد المهدي المظفّر في رسالته "إرشاد الامُة" . التي ألفهّا سنة 1348 هـ . في معرض ردّه على السيّد محسن الأمين والسيّد مهدي البصري:

"عفوك اللهمّ من هذا الاختلاق، كيف علم به حضرة السيّد حتىّ أرسله إرسال المسلمآت، ولم نعلم به (وأهل البيت أدرى بما فيه)، يعزى ذلك إلى البصرة ونحن فيها ولم نغب عنها في العام الذي ذكره ولم نشاهد ذلك ولم نسمعه، ولو صحّ لكنا أوّل منكر على هذا الفعل الشنيع الذي تأباه الغيرة والحميّة ويحظره الشرع الأقدس. ولكن سولت لهذا المصلح وأمثاله نفوسهم أمراً، فصبر جميل والله المستعان.

وكان الأحرى به قبل سماع هذا أن يسمع قوله تعالى {إِنْ جاءكمْ فاسق بنَبأ فتَبينوَا}[2] وكيف ساغ له أن يشين هذه المظاهر الشريفة بالأُمور المكذوبة، ويهين شيعة

1 ـ النقد النزيه: 149 ـ 150.

2 . سورة الحجرات: الآية 6.

آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، الذين لا قصد لهم إلاّ إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام)، حتىّ بذلوا النفيس في سبيل ذكرى الإمام الشهيد (عليه السلام)، مبتغين بذلك مرضاة الله تعالى.

ومازال أهل البصرة منذ القدم لايعدون أطوار المواكب الغوائيّة الجلريّة في المشاهد المقدسّة، وسيجمع الله تعالى بينهم وبين السيّد في يوم تنشر فيه الأعمال وتتضح فيه خفيات السوائر"[1] .

1 ـ إرشاد الأمّة: 128 ـ 129.

الإشكال الثامن

صياح النساء بمسمع من الرجال

قال السيّد الأمين:

"ومنها . أي ومن الأُمور المنكرة في المواكب الحسينيّة . صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب، وصوت المرأة عورة[1] ، ولو فرض عدم تحريمه فهو معيب شائن مناف للآداب والمروءة، يجب تنزيه المآتم عنه"[2] .

أقول: وهذا شاهدناه في العراق كثيراً، وهو أمر شائع هناك. ولم نشاهده في ايران; إذ أنّ الإيرانيين لم يتعودّوا على هذه الظاهرة، وينكرونها على العراقيين المقيمين في ايران الذين جلبوا معهم إلى إيران كافّة عاداتهم وتقاليدهم الجيدّة والسيئّة. ولا أتصوّر أنّ هذه الظاهرة سائدة في باقي البلدان الإسلاميّة التي تقام فيها هذه الشعائر، فقد شاهدت عُدة أفلام عن المواكب الحسينيّة في لبنان والهند والباكستان، فلم اشُاهد هذه الظاهرة فيها.

ونحن مع السيّد الأمين في إشكاله على هذه الظاهرة، فإنّها أمر "معيب شائن مناف للآداب"، ويجب على أصحاب النفوذ من المسؤولين والعلماء والخطباء منع ذلك، وتهذيب الشعائر الحسينيّة من كافّة الظواهر السيئة التي لحقتها، أو أدخلها المغرضون فيها لتشويهها وإبعادها عن الغرض الرئيسي الذي أقيمت له هذه الشعائر.

1 ـ وصوت المرأة عورة: لم ترد في رسالة التنزيه المطبوعة المتوفّرة لدينا، حكاها عنها الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي في "النقد النزيه": 150 والشيخ محمّد الگنجي في "كشف التمويه": 54.

2 .رسالة التنزيه:43.

الإشكال التاسع

الصياح والعويل بالأصوات المنكرة

قال السيّد الأمين: "ومنها . أي ومن الاُمور المنكرة في الشعائر الحسينيّة . الصياح والعويل بالأصوات المنكرة"[1] .

أقول: وهذا لا وجود له في المواكب الحسينيّة التي شاهدتها في العراق وايران، ولم نسمع بأنّ ذلك يحصل في البلدان الإسلاميّة الاُخرى التي تقام فيها هذه الشعائر في كل سّنة.

نعم، قسم من المؤمنين يؤدّون هذه الشعائر بأصوات مرتفعة أثناء ندبهم للإمام الحسين (عليه السلام) في المساجد والحسينيّات، وخلال المسيرات الجماهيريّة التي تطوف في الشوارع والأزقّة.

أمّا وصف أصواتهم بكونها "منكرة وقبيحة" فهذا مردود قطعاً.

علماً بأنّ الشرع المقدّس قد استحبّ رفع الصوت في بعض التكاليف كالتلبية في الحج، والأذان، والصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وآله). وقد وردت روايات دالّة على أنّ رفع الصوت بالصلاة على النبيّ (صلى الله عليه وآله) يذهب النفاق، ورفعه في الأذان في المنزل ينفي الأمراض ويكثر الولد.

---

1 ـ رسالة التنزيه:44.

الإشكال العاشر

دخول ما يوجب الهتك والشنعة في الشعائر الحسينيّة

قال السيّد الأمين: "ومنها . أي ومن الاُمور المنكرة في المواكب الحسينية . كل مّا يوجب الهتك والشنعة مما لا يدخل تحت الحصر، ويختلف الحال فيه بالنسبة إلى الأقطار والأصقاع، إلى غير ذلك"[1] .

أقول: ونحن مع السيّد الأمين في هذا الإشكال; إذ يجب تنزيه الشعائر الحسينيّة عن كلّ الظواهر السلبيّة التي لحقتها، سواء تلك التي أدخلها فيها المغرضون من أجل تشويهها وإخراجها عن المسير الصحيح لها وإظهار شيعة أهل البيت (عليهم السلام) بمظهر التخلّف، أم التي أدخلها فيها بعض البُسطاء من المؤمنين مع غفلتهم عن النتائج السلبيّة التي تؤديّ إليها هذه الظواهر.

* * * *

---

1 ـ رسالة التنزيه:44.

وختاماً فإنّي أحمد ُالله سبحانه وتعالى لتوفيقه إياي لكتابة هذه الرسالة المتواضعة التي أثبت ُفيها الملاحظات التي وقفت ُعليها أثناء مطالعتي لرسالة التنزيه،ولا أدّعي بأنّني قد استوفيت البحث وأعطيته حقهّ،وأسأل الله سبحانه وتعالى غفران الذنوب والعفو عن الهفوات،وأن يجعل عملي هذا سبباً لمرضاته،وأن يرزقنا شفاعة الحسين وجدّه وأبيه وامُهّ وأخيه والتسعة المعصومين من ذريّته، صلوات الله عليهم أجمعين،والحمدُ للهرب ّالعالمين

محمّد الحسوّن

20 شوال 1422هـ

فهرس المصادر

(1) إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل:

للقاضي السيّد نور الله الحسينيّ المرعشي التستري الشهيد سنة 1019 هـ، المكتبة المرعشيّة، قم المقدّسة.

(2) أدب الطف:

للسيّد جواد شبر، دار المرتضى، بيروت، 1411هـ.

(3) الأربعين حديثاً:

للشيخ البهائي محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي (ت 1031 هـ)، مطبعة صاوي، قم المقدّسة.

(4) إرشاد الأُمة للتمسك بالأئمة:

للشيخ عبد المهدي المظفّر (ت القرن الرابع عشر)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1348هـ.

(5) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:

للشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت 413 هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم المقدّسة، 1413هـ.

(6) أساس البلاغة:

للزمخشري (ت 538هـ)، أفسيت دفتر تبليغات اسلامي، قم المقدّسة.

(7) أصل زيد النرسي:

لزيد الزرّاد النوسي، (ت القون الثاني)، المطوع مع الاُصول الستة عشر.

(8) أصل عاصم بن حميد:

لعاصم بن حميد الحنّاط الكوفي (ت القون الثاني)، المطوع مع الاُصول الستة عشر.

(9) إعلام الورى:

للفضل بن الحسن الطبرسي (ت 584 هـ) دار المعرفة، بيروت.

(10) أعيان الشيعة:

للسيّد محسن الأمين العاملي (ت 1371 هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1403هـ.

(11) إقالة العاثر في إقامة الشعائر:

للسيّد علي نقي اللكهوي (ت القون الرابع عشر)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، 1347هـ.

(12) إقبال الأعمال:

للسيّد علي بن موسى بن طاووس (ت 664 هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، بيروت، 1403هـ.

(13) أمالي الصدوق:

لمحمّد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت 381 هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

(14) البابليات:

للشيخ محمّد علي اليعقوبي (ت القون الرابع عشر)، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، 1370هـ.

(15) بحار الأنوار:

للعلاّمة محمّد باقر المجلسي (ت 1110 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403هـ.

(16) البرهان في تفسير القرآن:

للسيّد هاشم بن سليمان البحراني (ت القون الحادي عشر)، مطبعة الشمس طهران.

(17) تاج العروس:

لمحمّد بن مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

(18) تأريخ بغداد:

للخطيب البغدادي (ت 463هـ)، مطبعة السعادة، مصر، 1349هـ.

(19) تأريخ الطوي:

لمحمّد بن جرير الطوي (ت 310 هـ)، دار سويدان، بيروت.

(20) التبيان في تفسير القرآن:

للشيخ محمّد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ)، تحقيق الشيخ أحمد قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(21) تذكرة الفقهاء:

للعلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهرّ (ت 726 هـ)، الطبعة الحجريّة.

(22) التسامح في أدلّة السنن:

للشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (ت 1281هـ)، تحقيق ونشر مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدّسة، 1413هـ.

(23) تفسير القرطبي:

لمحمّد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(24) تفسير القمّي:

لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمّي (ت القرن الرابع)، تحقيق السيّد طيبّ الموسوي الجزائري، دار الكتب العلمية، قم المقدّسة، 1387هـ.

(25) التنزيه:

للسيّد محسن الأمين العاملي (ت 1371 هـ)، دار الهداية، بيروت.

(26) جامع المقاصد:

للمحقّق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (ت 940 هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، 1407هـ.

(27) جمهرة الأمثال:

لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد 395 هـ) دار الكتب العلميّة، بيروت، 1408هـ.

(28) جواهر الكلام:

للشيخ محمّد حسن النجفي (ت 1266 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(29) الحدائق الناضرة:

للشيخ يوسف البحراني (ت 1186 هـ)، نشر مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في قم المقدّسة.

(30) حلية الأولياء:

لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430 هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1409هـ.

(31) الخرائج والجرائح:

لأبي الحسين سعيد بن هبة الله قطب الدين الراوندي (ت 573 هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قم المقدّسة، 1409هـ.

(32) الخصال:

للشيخ الصدوق محمّد بن علي بن بابويه القمّي (ت 381 هـ)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين في قم.

(33) دعائم الإسلام:

للنعمان بن منصور التيمي (ت 363 هـ)، دار المعارف، القاهرة.

(34) الدمعة الساكبة في المصيبة الراتبة:

للشيخ محمّد باقر بن عبد الكريم البهبهاني الدهدشتي (ت 1285 هـ) مكتبة العلوم العامة في المنامة ومؤسسة الأعلمي في بيروت، 1408هـ.

(35) الذريعة:

للشيخ آقا بزرك الطهراني (ت 1389 هـ)، دار الأضواء، بيروت.

(36) الذكرى:

للشهيد الأوّل محمّد بن مكي الجزيّني (الشهيد سنة 786 هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) قم المقدّسة.

(37) رجال الكشي "اختيار معرفة الرجال":

للشيخ محمّد بن حسن الطوسي (ت 460 هـ)، صحّحه وعلّق عليه حسن المصطفوي، طبع جامعة مشهد، 1348 هـ ش.

(38) الروضة البهيّة:

للشهيد الثاني الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي (المستشهد سنة 965 هـ)، منشورات مكتبة الداوري، قم المقدّسة، 1410هـ.

(39) رياض المسائل:

للسيّد علي الطباطبائي (ت 1321 هـ) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، مشهد المقدّسة.

(40) سنن الدارقطني:

لعلي بن عمر الدارقطني (ت 385 هـ)، دار المحاسن، القاهرة، أُفسيت دار المعرفة، بيروت.

(41) شرح نهج البلاغه:

لعزّ الدّين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المعتزلي (ت 656 هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل اواهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1385هـ.

(42) شعواء الغوي:

للأُستاذ علي الخاقاني، المكتبة الرعشيّة العامة، قم المقدسّة، 1408هـ.

(43) الشيعة في الميزان:

للشيخ محمّد جواد مغنيّة (ت 1400 هـ)، دار التعارف، بيروت.

(44) الصحاح:

لإسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت 393 هـ) دار العلم للملايين، بيروت.

(45) طبقات أعلام الشيعة (الكوام البررة في القرن الثالث بعد العشرة):

للشيخ الطهراني (ت 1389 هـ)، المطبعة العلميّة، النجف الأشرف، 1374هـ.

(46) الطبقات الكبرى:

لابن سعد الزهري (ت 230 هـ)، دار صادر، بيروت، 1405هـ.

(47) عدّة الداعي ونجاح الساعي:

للشيخ أحمد بن فهد الحلّي (ت 841هـ)، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأُولى، 1407هـ.

(48) علل الشرائع:

للشيخ الصدوق محمّد بن علي بن الحسين بن بابوية القمّي (ت 381 هـ) المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف.

(49) عوالم العلوم والمعارف:

للشيخ عبد الله البحراني (ت القرن الثاني عشر) تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، قم،

1407هـ.

(50) فتح الأبواب:

للسيّد ابن طاووس علي بن موسى (ت 664 هـ)، تحقيق حامد الخفّاف، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم المقدّسة، 1409هـ.

(51) الفقه المنسوب للإمام الرضا (عليه السلام):

تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث، قم المقدّسة، 1406هـ.

(52) القاموس المحيط:

لمحمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (816هـ)، دار الفكر، بيروت.

(53) قواعد الأحكام:

للعلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهرّ (ت 726 هـ) منشورات الرضي، قم المقدّسة.

(54) الكافي:

للشيخ محمّد بن يعقوب الكليني (ت 328 هـ)، المطبعة الإسلاميّة، طهران.

(55) كامل الزيارات:

للشيخ جعفر بن محمّد بن قولويه (ت 367 هـ)، المطبعة الإسلاميّة، طهران.

(56) الكامل في التأريخ:

لعلي بن محمّد بن الأثير (ت 630هـ)، دار صادر، بيروت، 1402هـ.

(57) كشف التمويه عن رسالة التنزيه:

للشيخ محمّد الكنجي (ت القرن الرابع عشر)، المطبعة العلويّة، النجف الأشرف، 1347هـ.

(58) كفاية الأحكام:

للمولى محمّد باقر بن محمّد مؤمن السبزواري (ت 1090 هـ) الطبعة الحجريّة.

(59) لسان العرب:

لابن منظور محمّد بن مكرم (ت 711 هـ)، نشر أدب الحوزة، قم المقدّسة، 1405هـ.

(60) ماضي النجف وحاضرها:

للشيخ جعفر آل محبوبة (ت 1377 هـ)، دار الأضواء، بيروت، 1406هـ.

(61) المجالس السنّية:

للسيّد محسن الأمين العاملي (ت 1371 هـ)، الطبعة الخامسة، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، 1394هـ.

(62) مجمع الأمثال:

لأبي الفضل أحمد بن محمّد الميداني (ت 518 هـ)، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1407هـ.

(63) مجمع البحرين:

لفخر الدين بن محمّد علي الطريحي (ت 1805 هـ)، المكتبة المرتضويّة، طهران.

(64) مجمع البيان في تفسير القرآن:

لأمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت القرن السادس)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1415هـ.

(65) المحاسن:

لأحمد بن محمّد بن خالد البرقي (ت 280هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، قم المقدّسة.

(66) مدينة المعاجز:

للسيّد هاشم البحراني (ت 1107 أو 1109 هـ) مكتبة المحمودي، طهران.

(67) مروج الذهب:

لعلي بن الحسين المسعودي (ت 346هـ)، مطبعة الصدر، قم المقدّسة.

(68) مسالك الأفهام:

للشهيد الثاني الشيخزين الدين بن علي الجبعي (المستشهد سنة 965هـ) دار الهدى، قم المقدّسة.

(69) مستدرك وسائل الشيعة:

للمحدّث الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت 1320 هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم المقدّسة، 1407هـ.

(70) مستند الشيعة:

للشيخ أحمد الزاقي (ت 1245 هـ)، المكتبة الوعشيّة العامة، قم المقدّسة.

(71) مسند أحمد بن حنبل:

لأحمد بن حنبل (ت 241 هـ)، دار الفكر، بيروت.

(72) المصباح المنير:

لأحمد بن محمّد بن علي المقّري الفيوّمي (ت 770 هـ)، دار الهجرة، قم المقدّسة، 1405هـ.

(73) معارف الرجال:

للشيخ محمّد حرز الدين (ت 1365 هـ)، المكتبة المرعشية، قم المقدّسة.

(74) معجم البلدان:

لياقوت الحموي (ت 226 هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(75) معجم رجال الفكر والأدب:

للشيخ محمّد هادي الأميني (ت 1421 هـ)، بيروت 1412هـ.

(76) معجم المؤلّفين:

لعمر رضا كحالة (ت 1958 م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(77) مفاتيح الأُصول:

للسيّد محمّد الطباطبائي المجاهد (ت 1242هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة.

(78) مفاتيح الشرائع:

للمولى محمّد محسن الفيض الكاشاني (ت 1091 هـ)، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدّسة، 1385هـ.

(79) مقاتل الطالبيين:

لأبي الفرج الأصفهاني (ت 284 هـ)، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم المقدّسة، 1385هـ.

(80) مقتل الإمام الحسين (عليه السلام):

للموفّق بن أحمد المكّي الخوارزمي (ت 568هـ)، مكتبة المفيد، قم المقدّسة.

(81) مقتل الإمام الحسين (عليه السلام):

لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي، (ت 158 هـ)، تحقيق الشيخ محمّد هادي اليوسفي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1376هـ.

(82) المكاسب:

للشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (ت 1281هـ)، تحقيق ونشر مجمع الفكر

الإسلامي، قم المقدّسة، 1415هـ.

(83) الملهوف على قتلى الطفوف:

للسيّد علي بن موسى بن طاووس (ت 664 هـ) تحقيق الشيخ فارس الحسون، مؤسسة الأُسوة، قم المقدّسة، 1414هـ.

(84) مناقب آل أبي طالب:

لمحمّد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت 588هـ)، المطبعة العلميّة، قم المقدّسة.

(85) المنجد:

للويس معلوف، مطبعة آرمان، الطبعة الثالثة، 1371هـ ش.

(86) من لا يحضره الفقيه:

للشيخ الصدوق محمّد بن علي بن بابويه القمّي (ت 381 هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران.

(87) الموسم:

مجلّة فصليّة تصدر في هولندا، صاحبها ورئيس تحريرها الاسُتاذ محمدّ سعيد الطريحي.

(88) نصرة المظلوم:

للشيخ حسن بن ابراهيم المظفر (ت القرن الرابع عشر) المطبعة العلويّة، النجف الأشرف، 1345هـ.

(89) النقد النزيه لرسالة التنزيه:

للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت 1375 هـ)، المطبعة الحيدريّة، النجف

الأشرف، 1347هـ.

(90) النهاية في غريب الحديث والأثر:

لابن الأثير المبارك بن محمّد الجزري (ت 606هـ)، المكتبة الإسلامية، 1383هـ.

(91) هكذا عرفتهم:

للأُستاذ جعفر الخليلي (ت 1405 هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة، 1412هـ.

(92) وسائل الشيعة:

للشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت 1104 هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، قم المقدّسة، 1409هـ.